تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان

الإنابة خاتمة الجمال وتاج الكمال

د. فريد الأنصاري رحمه الله تعالى ص 8

قانون العداوة والبغضاء

د. محمد راتب النابلسي ص 4

غراب يعلم الإنسان

د. مصطفى فوضيل ص 5

بسم الله الرحمن الرحيم

almahajjafes@gmail.com

المحجة

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج

27 ربيع الثاني 1432هـ – 1 أبريل 2011م

جامعة نصف شهرية

الثمن : 3 دراهم

العدد : 356

شؤون تربوية

- خُلُق المجاهدة ومستلزماتها — ذ. عبد اللطيف احميد الوغلاني ص 6
- مفهوم التواصل في الإسلام — ذ. عبد الرحمن بوعلي ص 11
- المسالك الإجرائية لاستمرار التربية النبوية للأمة المسلمة — ذ. طارق زكاغ ص 11
- إمام المسجد ودوره في ترشيد الأسرة — ذ. امحمد رحماني ص 7

من شؤون المسلمين

- الدبابة والصندوق والشارع..! — د. الطيب الوزاني ص 12
- وصايا من رحم الأحداث — ذ. عبد القادر لوكيلي ص 12
- الليبيون يقابلون شدة القصف على مدنهم باستحضار صمود أهل غزة ص 3

﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾

سنن الله هي قوانينه العامة المتعلقة بأفعال البشر وسلوكاتهم، وهى الطريقة المتبعة للبشر، وما يترتب عنها من نتائج معينة في الدنيا والآخرة ثوابا أو عقابا

والمتأمل في القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ، والتوجيه الرباني لعباده يعلم أن الله جعل في الناس سننا وقوانين وعادات لا تتخلف تحكم سيرهم وأفعالهم ويترتب عنها جزاؤه فيهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر: **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ويعمل مثقال ذرة شرا يره﴾**(الزلزلة : 9) وعلى هذا القانون من العمل رتب الجزاء ثوابا وعقابا.

وهذه السنن المتعلقة بالبشر قسمان: سنن الله في المجرمين والظالمين، وسننه في المهتدين من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم المومنين والمصلحين.

النوع الأول : سنن الله في القوم المجرمين والظالمين :

وفي هذا النوع يقول تعالى: **﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾**(آل عمران:137).

وفي الآية توجيه لنا بالتأمل في عمل القوم المكذبين وما آل إليه أمرهم من الهلاك والبوار والخسران المبين. ويكفي المسلم العاقل أن يتأمل المواطن التي ذكر فيها التكذيب والمكذبون في القرآن الكريم ليجد أن هذه الصفة ما ذكرت إلا في مواطن نفي الحقائق الناصعة والبراهين الساطعة: التكذيب بحقيقة وجود الله، وحقيقة الغيب، وحقيقة الرسالة والرسل، والتكليف، والبعث والنشور والحساب، والناظر أيضا في صفة التكذيب في القرآن الكريم يلحظ أنها ليست مجرد قول ينطق به اللسان وكفى وإنما هو قول واعتقاد وعمل لدى أصحابه به يؤمنون وعليه يعملون وبه ينظمون حياتهم، وإليه يدعون غيرهم، إن التكذيب بالله وبرسله وبأوليائه، وبأمره ونهيه ووعده ووعيده يولد كل أشكال الفساد في الأرض: كالكفر بالله، والنفاق، والظلم والاستكبار والعلو في الأرض وعلى الناس بغير حق، والبطش، والضلال والإضلال، والصدود عن الحق والصد عنه، والإغواء، وكل مظاهر الفحش السياسي والاقتصادي والخلقي والاجتماعي.

إن سلوك التكذيب نسق سلوكي يشتمل على كل أفعال الشر الباطنة والظاهرة، الاعتقادية والعملية، الفردية والاجتماعية، إنه يتعدى الفرد ذاته إلى أن يصبح سلوكا يدعى إليه ويربى عليه الأبناء والأجيال، وينتقل كالنار في الهشيم في المجتمع، إن التكذيب بالتعبير المعاصر إيديولوجيا فكرية اجتماعية لها أجندتها ومصالحها السياسية والاقتصادية وأهدافها في الوجود والصراع والبقاء، ولا تنحصر في فرد ولا في قول، ولا في تصرف فقط!! ولذلك كان فعل التكذيب فعلا خطيرا : لأنه فعل إنساني اجتماعي موجه، له تنظيماته وهياكله، ومؤسساته التي تقاوم الخير والصلاح وتسعى إلى تكثير سواد المفسدين وإخراج العباد من حالة الطاعة والانقياد لرب العالمين إلى حال العصيان والتمرد على الله ورسله وعباده الصالحين والمستضعفين، ومن حال الرحمة إلى حال العذاب، غير أن سنة الله اقتضت إبطال عمل المفسدين وإحباطه مهما بذلوا من جهد، قال تعالى : ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة، ثم يُغلبون، والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾(الأنفال : 36) لأن ذلك يخالف حكمة الله من خلقه الخلق، إذ ما خلقهم إلا لرحمته :**﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون﴾** وأرسل رسله ليخرجوا الناس من العذاب إلى الرحمة: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ولم يكن عمل المكذبين إلا خروجاً عن هذه الرحمة وحيلولة بين عباد الله ورحمة ربهم المجعولة لهم، لهذا كان التكذيب شرا مستطيرا، وخطرا كبيرا، وضرراً بينا، يجب دفعه ومعاقبة أهله، ولهذا القصد أنزل الله عز وجل سورة المرسلات كلها تحذيراً للمكذبين من سوء مصيرهم وعاقبتهم في اليوم الآخر: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾، وأخبر في آيات وسور كثيرة بعاقبة المكذبين ومصارعهم في الدنيا لينبه عباده على سننه جل وعلا في الأعمال والثواب والعقاب، والإهلاك والتمكين، ويدعوهم للاعتبار: **﴿يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المومنين فاعتبروا يا أولي الابصار﴾**(الحشر: 2)، إنها سنة الاعتبار من فعل المكذبين والمجرمين، وقال تعالى: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الاولين﴾ (الأنفال:38)، إنها سنة الله في الجزاء، سنة قبول توبة العباد الذين ينتهون عن فعل السوء والكفر والظلم والتكذيب وبطر الحق والاستكبار...، إنها سنة الرحمة الشاملة لكل العباد إلا من أبى الدخول فيها.

النوع الثاني : سنن الله في عباده المهتدين:

هذا النوع يأتي في مقابل سنن الله في المكذبين، وهذا النوع هو المتعلق بسنن الله في الرحمة والهداية، وسنته في دعوة خلقه للدخول فيها وهدايتهم للعمل بمقتضياتها وتحصيل أسبابها والفوز بجوائزها، قال تعالى: **﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم﴾**(النساء:26)، قال الإمام الطبري في تأويلها : ليسددكم سنن الذين من قبلكم : يعني سبل من قبلكم من أهل الإيمان بالله وأنبيائه ومناهجهم فيما حرم عليكم..." وقال الإمام ابن كثير: "يعني طرائقهم الحميدة، واتباع شرائعه التي يحبها ويرضاها".

نعم إن الله تعالى أقام كونه على قوانين ونواميس تحفظ توازنه سواء في مجال الكون أو مجال الإنسان والاجتماع البشري، هي سننه الثابتة التي لا تتخلف ولا تتحول ، تعم ولا تخص، تعدل ولا تظلم، فكما أن هناك سنن الظالمين والمجرمين، التي نهينا عن الاستنان بها واقتفاء أثرها، لئلا يصيبنا ما أصابهم من العقاب والهلاك والخسران، هناك سنن أهل الخير ، والصلاح والإصلاح، والإيمان والطاعة، هؤلاء لهم جزاء مناسب لخيريتهم :**﴿وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى﴾**(النجم: 38- 40) وحتى يدخل المرء في زمرة من ينالهم الجزاء الخير، عليه أن يفعل فعل أهل الخير، وفعل كل الأفعال الدالة على الصلاح وإعمار الأرض بما أمر الله أن تعمر به من العدل والتقوى والصبر والاجتهاد في جلب الخير، وتعمير القلوب بالخير والإيمان وحب أهلهما، وإخلائها من كل عوامل الفساد والخراب، فتعمير القلوب والعقول أولى بالعناية من تعمير الأجساد بالخبز ومظاهر الزينة، وقبل تعمير الأرض بالنسل والحرث والبناء...

وكما أن الفساد والشر له أهله وحماته، فعلى أهل الخير أن يتكتلوا في حماية الحق ونشره وتعميمه والتعاون عليه والصبر في احتمال الأذى فيه، فذلك من سنن الله:**﴿الم أحسب الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم. فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾**(العنكبوت: 1- 2).

إن الأمة اليوم تمر بظروف حالكة وتمر بمخاض عسير، وعانت ما لم يعلمه إلا الله من الشرور والمآسي، ولكن ذلك كله يجب أن ينظر إليه بمنظار سنن الله في الخلق والاجتماع البشري والتدافع بين الحق والباطل، وسننه في التداول الحضاري، والتدرج في النصر والتمكين بناء على درجة عمل الأمة بقوانين هذا الأمر. **﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾**، **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا. ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون﴾**(النور:53- 54).

إنها سنن الله في التمكين والمشروطة بتحصيل شروطها وأسبابها، والأمة المسلمة اليوم مطلوب منها التفقه بقوة وحزم وحكمة في سنن الله في خلقه. إنها أُتيت من جهة جهلها بهذه السنن، فضعف يقينها في الله واضطربت عقائدها وفسدت أعمالها، وارتمت في أحضان عدوها واتبعت سنن المكذبين والمرجفين والمجرمين فنسيت حظا مما ذكرت به من ربها. إن الأمة محتاجة للعودة لدين ربها وإسلام مقاليد أمرها لشرع الله وأهله وتربية جيل من المومنين الصادقين الحاملين رسالة العدل والخير والحرية والكرامة للبشرية، العاملين بسنن الله والمستبصرين بهداياته وإلا فإن الخسران يترصد بها كلما انحرفت عن هذه السنن: **﴿والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.**

حلاوة الاستشهاد في سبيل الله (5)

المعتصم بالله عبد الملك السعدي

ميت يهزم طاغية صليبيا وعميلا خائنا

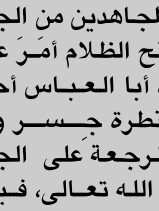

ذ. المفضل فلواتي
رحمه الله تعالى

خرج ملك البرتغال "سبستيان" بمائة وعشرين ألفَ مقاتل لتعميم المسيحية في إفريقيا كلها، مدعوما من البابا وجميع ملوك وزعماء المسيحية، لكن المغرب هو بوابة إفريقيا، فكان لا بد من فتح هذا الباب أولا، وبعد ذلك فالطريق مُعَبَّد.

والذي شجعه على تحقيق هذا الأمل الملك المخلوع محمد المتوكل الملقب ب "المسلوخ" فهو الذي ذهب إلى سبستيان واستنجد به على عَمِّيه : عبد الملك السعدي وأخيه المنصور الذهبي السعدي.

تعبَّأ المغاربة بقيادة عبد الملك السعدي حتى اجتمع أربعون ألف مجاهد ما بين جنود ومتطوعين، وعندما عَبَر سبستيان البحر واستقر على أرض المغرب، كتب إليه عبد الملك السعدي الرسالة الأولى قائلا:

"إنَّ سَطْوَتَكَ قَدْ ظَهَرَتْ في خُرُوجِكَ مِنْ أَرْضِكَ، وَجَوَازِكَ العَدْوَةَ، فَإِن ثَبَتَّ إِلَى أَنْ نُقْدِمَ عَلَيْكَ، فَأَنْتَ نَصْرَانِيٌّ حَقِيقِيٌّ شُجَاعٌ، وَإِلاَّ فَأَنْتَ كَلْبُ بْنُ كَلْبٍ".

وانطلتْ الحيلة على الطاغية المغرور، فثبت في مكانه حتى وصل عبد الملك إلى وادي المخازن، فكتب إليه عبد الملك الرسالة الثانية : قد قطعنا إليك ست عشرة مرحلة، فاقطع إلينا مرحلة، فتقدم المغرور حتى عَبَر جَسْرَ وادي المخازن، حيث عسكر قبالة المجاهدين من الجيش والمتطوعين. وفي جنح الظلام أمَرَ عبدُ الملك المعتصم أخاه أبا العباس أحمد المنصور بنسْف قنطرة جسر وادي المخازن قطعا لخط الرجعة على الجيش الذي سيهزم بإذن الله تعالى، فيكون الوادي من أكْبَر جنود الله تعالى في هذه المعركة التي لها ما بعدها، حيث سيكون الوادي مانعا من الهروب إلى الأسطول الموجود بالشاطئ، ومانعا من وصول الإمداد إذا ما احتيج إليه، خطة في غاية الدقة والإحكام.

ووقف السلطان عبد الملك المعتصم بالله خطيبا في الجيش مذكرا بوعْد الله تعالى للصادقين بالنصر وبالفوز، ومبصِّرا المجاهدين بخطورة الموقف، فإن الصليبية إن انتصرت اليوم - لا قدَّر الله - فلن تقوم للإسلام قائمة بعد هذه المعركة.

ورغم تدهور صحة السلطان منذ كان بالعاصمة مراكش فإنه آثر أن يقود الجيش بنفسه وهو مريض حتى وصل إلى القصر الكبير وعسكر بوادي المخازن، وعندما ابتدأت المعركة خرج بنفسه ليردَّ الهجوم الأول، منطلقا كالسَّهم شاهرا سيفه يفتح لجنده الطريق إلى صفوف البرتغاليين المعتدين. إلا أن المرض غالبه فغلبه، فعاد إلى مِحَفَّته، وما هي إلا دقائق حتى لفظ أنفاسه الأخيرة. وأطبق أجفانه

تتمة : ص15

جريدة المحجة
■ المدير المؤسس : ذ. المفضل فلواتي
■ المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج
■ مسؤول الإخراج : رشيد صدقي
الموقع الإلكتروني : www.almahajja.net
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3- فاس -المغرب
الهاتف : 931113 (0535)
الإيداع القانوني : 1994- 61
رقم الصحافة : 11/ 91
الترقيم الدولي : 3627- 1113
الطبع : إكو برانت - البيضاء
التوزيع : سابريس

محطات إخبارية - محطات إخبارية - محطات إخبارية

الليبيون يقابلون شدة القصف على مدنهم باستحضار صمود أهل غزة

قبل أيام حين اقتربت قوات معمر القذافي من مدينة بنغازي استحضر عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ونيس المبروك، صبر الفلسطينيين في غزة أثناء الحرب الأخيرة عليها، ليثبّت الليبيين ويؤكد لهم حتمية التمكين.

وهنا يتحدث محللون عن تأثير التجربة الفلسطينية وتضحيات الفلسطينيين من أجل التحرر والعيش بكرامة، في إحياء روح الثورة لدى الشعوب العربية، وكسر حاجز الخوف من الزعيم والدبابة والسلاح في سبيل الحرية.

كما يشير من تحدث منهم إلى حالة الغليان التي انتابت الشعوب بعد احتضان واستضافة زعماء عرب لقادة إسرائيل قبل وخلال وبعد الحرب على غزة، وفي المقابل نبذ قيادات فلسطينية فازت في انتخابات نزيهة عام 2006، وخاصة إسماعيل هنية رئيس الحكومة التي شكلتها حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في حينه.

الاستخبارات الصهيونية تعين أئمة المساجد في فلسطين المحتلة

كشف جهاز الأمن الداخلي الصهيوني"الشين بيت" للمرة الأولى عن أنه يتدخل في تعيين أئمة المساجد الفلسطينية.

وذكرت صحيفة "هارتس" العبرية أن هذا الأمر تكشف بعد "رفض الدولة" تعيين الشيخ أحمد أبو عواجة إماما لمسجد جباليا بمدينة يافا على الرغم من أنه كان المرشح الوحيد الذي استوفى شروط التعيين.

وعندما رفع "المتضرر" الأمر إلى محكمة العمل في تل أبيب أبلغ المدعي العام للمنطقة المحكمة بأنه "وفقا لتقديرات الشين بيت فإن تعيين المدعي قد يؤثر سلبا على الأمن والسلام في يافا"، وخاصة في ظل العلاقة الحساسة بين اليهود والمسلمين في المدينة.

وحصلت الصحيفة على المزيد من التوضيح من الشين بيت حيث أكد الجهاز أن أبو عواجة هو رئيس "الحركة الإسلامية" الشمالية في يافا. وأوضح الجهاز بأنه أمد وزارة الداخلية بمعلومات توضح تورط أبو عواجة في "أنشطة عدائية" منذ فترة طويلة تمثلت في التحريض ضد الدولة والشعب اليهودي. ويوجد في يافا – التي يعيش فيها 16 ألف فلسطيني أغلبهم من المسلمين وبينهم 3 آلاف يهودي – ثمانية مساجد ستة منها نشطة. وتنفق وزارة الداخلية على هذه المساجد كما أنها تختار أئمتها عن طريق التقدم بطلب للحكومة. ويتولى الإمام إقامة الصلوات الخمسة في المسجد، وكذلك إلقاء الخطب.

ومن المتوقع أن تصدر المحكمة في هذه القضية حكمها إما بتوجيه تعليمات إلى وزارة الداخلية بتعيين أبو عواجة في المنصب وإما السماح للوزارة بفتح باب الترشيح لإمامة المسجد من جديد لحين انتهاء نظر القضية.

وأكد محامو أبو عواجة أن "سجله نظيف" وأن "إثمه الوحيد" هو انتماؤه للحركة الإسلامية.

اللجنة الاستشارية لمراجعة الدستور تشرع في الاستماع للأحزاب والنقابات

شرعت اللجنة الاستشارية لمراجعة الدستور يوم الاثنين 28 مارس في الاستماع للأحزاب السياسية والمنظمات النقابية لتقديم تصوراتها ومقترحاتها بشأن مراجعة الدستور.

وتم خلال الجلسة الصباحية الاستماع إلى كل من حزب الاستقلال والحركة الشعبية، في حين تم مساء الاستماع لكل من حزب التقدم والاشتراكية وحزب العمل والاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية.

وتأتي هذه الجلسات تطبيقا للتوجيهات الواردة في الخطاب الملكي بتاريخ تاسع مارس الجاري، حيث دعا الملك اللجنة الاستشارية لمراجعة الدستور باعتماد منهجية الإصغاء والتشاور مع جميع الهيئات والفعاليات المؤهلة، من بينها الأحزاب السياسية والمنظمات النقابية.

وستستمر هذه الجلسات إلى غاية السابع من شهر أبريل المقبل، وستعقبها اجتماعات مماثلة مع الفعاليات الشبابية والجمعوية والفكرية والعلمية المؤهلة.

أوروبا تشترط عدم إعدام مبارك لإعادة أمواله

كشف د. خالد أبو بكر عضو الإتحاد الدولي للمحامين لأحد البرامج التلفزيونية مساء أمس الأحد أن بعض الدول الأوروبية طلبت إستفسارات من الهيئات القضائية المصرية بخصوص محاكمة الرئيس المخلوع مبارك. وفقاً لما ذكرت صحيفة الوفد المصرية فان هذه الدول طلبت ذلك ...لأن الحكم بإعدامه قد يسهل طلب حق اللجوء السياسي لإحدى دول أوروبا التي تعترض على أحكام الإعدام...

...وأكد أبوبكر أن بعض الدول قد سخرت من طلب مصر لتجميد أموال الرئيس المخلوع بعد شهرين في حين جمدت سويسرا أمواله بعد ساعات من تنحيه دون الحاجة لطلب هذا.

في غضون ذلك، ...طالبت 17 منظمة حقوقية مصرية وزير الصحة أشرف حاتم، بالتحقيق في هتك عرض فتيات من المتظاهرين على أيدي أطباء من الجيش بأحد السجون الحربية.

وقالت المنظمات في بيان مشترك إن ...ضباطاً من الجيش المصري وأطباءً ضباطاً بالجيش هتكوا حرمة النفس والجسد لعشرات ممن جرى احتجازهن يوم التاسع من مارس 2011 بعد فض اعتصام ميدان التحرير.

صبر الفلسطينيين أمام قوة إسرائيل جعلهم نموذجا للباحثين عن الحرية

يلخص مدير مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان إياد البرغوثي التأثير الفلسطيني على الثورات العربية في دورين أساسيين: الأول المحور الزمني حيث كشف مرور الوقت عن تواطؤ كثير من الأنظمة مع إسرائيل، "ليس عند حد المعاهدات والاتفاقيات فقط، بل إلى درجة الحب والود"، الأمر الذي أثار الجماهير العربية "لأن قضية فلسطين تعد قضية ضمير بالنسبة للشعوب العربية وكثير من شعوب العالم".

أما الشكل الثاني للتأثير، فأوضح البرغوثي أنه يتمثل في الظلم الذي وقع على الفلسطينيين لعشرات السنين، ومع ذلك لم يقبلوا به أو يستسلموا له بشكل نهائي، رغم ما قد يظهر أنه استسلام، مما ألهم كثيرا من الشعوب لرفض الاستسلام للواقع. ولفت إلى تأثير صورة البطل على الفلسطينيين، رغم أنه مبالغ فيها أحيانا، وصبرهم أمام قوة لا تقارن مع قوتهم، مما جعل منهم نموذجا يحتذى به للباحثين عن الحرية في العالم. وأضاف البرغوثي أن الانتفاضة الأولى والمقاومة في لبنان وانتصار دولة صغيرة على قوة إسرائيل الكبيرة كسر حاجز الخوف لدى الشعوب.

في السياق ذاته، يرى المحلل السياسي هاني المصري أن الثورات العربية تتشابه في كثير من أشكالها مع الانتفاضات الفلسطينية، التي باتت عاملا أساسيا في بث روح التحدي لدى الشعوب. ويبين أن المواطن العربي أصبح الآن يخيف الحكام ويقلقهم ويهدد أنظمتهم، بعد أن خافهم وضرب لهم ألف حساب لعشرات السنين، وهذا يفتح أفقا جديدا ومختلفا للعرب والفلسطينيين.

إسماعيل رضوان: التصعيد الصهيوني رسالة للجهود المبذولة لإنهاء الانقسام

وصف القيادي بحركة حماس إسماعيل رضوان التصعيد الإسرائيلي بأنه يستهدف الجهود التي تبذل لاستعادة الوحدة وتحقيق المصالحة على أسس وطنية تحفظ الثوابت، وخطوة استباقية لأي دعم عربي صادق، بعد الثورات "لقطاع غزة ولحكومته الشرعية".

وأضاف رضوان أن التصعيد "يدل على العقلية الصهيونية التي لا يروق لها الاستقرار وتريد دائما مزيدا من الدماء"، مؤكدًا أن غزة لن تقابل الاحتلال بالورود والرياحين وأن المقاومة ستهزم الاحتلال كما هزمته في الحرب السابقة.

ويعتقد رضوان أن إسرائيل تهيئ الرأي العام الدولي من خلال الشكاوى التي ترفعها لمجلس الأمن وللأمم المتحدة ومن خلال الحديث عن سفن أسلحة لغزة لشن عدوان على القطاع، لكنه استبعد أن يكون العدوان شاملاً.

من ناحيته قال القيادي بحركة فتح فيصل أبو شهلا إن إسرائيل بعد مبادرة الرئيس رفعت من وتيرة التصعيد ضد قطاع غزة، معتبرًا ذلك مؤشرا على أن الاحتلال لا يريد المصالحة ولا يرغب في أن تتم زيارة أبو مازن لغزة سبيلا إلى الوحدة الفلسطينية المنشودة.

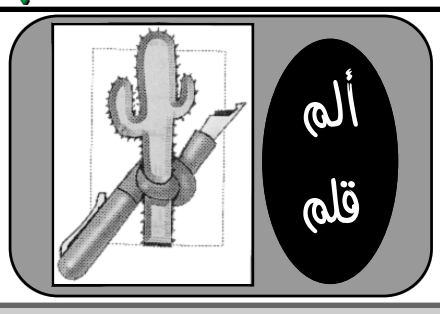

الإغاثة: تلك العملية الإنسانية السامية

إغاثة الضعيف والمريض والعاجز والمحتاج من مكارم الأخلاق التي بُعث الرسول محمد عليه الصلاة والسلام لإتمامها. وهذا ما يتضح من قوله ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". ولهذا أثر عنه ﷺ أنه قال عن حلف الفضول: "لو دعيت لمثله في الإسلام لأجبت"، وحلف الفضول كما هو معلوم حدث بين عدد من القبائل العربية قبل الإسلام حيث تعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوما إلا نصروه على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، وبذلك كان هذا الحلف أكرم حلف سُمع به وأشرَفه في تاريخ العرب قبل الإسلام.

وعلى امتداد التاريخ الإسلامي عرف المسلمون مشاهد جلى في إغاثة المحتاج فردا كان أو جماعة، بغض النظر عن عقيدته أو مذهبه، فلقد رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه رأى يهوديا يسأل، فقال له عمر رضي الله عنه: ما ألجأك إلى ما أرى؟. فقال اليهودي: الجزية والحاجة والسن. فأخذ عمر رضي الله عنه بيده، وذهب إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: "أنظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته وخذلناه في شيبته"(1). وروي عن أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب إلى عدي بن أرطأة: "وانظر من قبلك من أهل الذمة ممن قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه"(2).

هذا في وقت السلم أما في وقت الحرب، فلقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث جيشا قال: انطلقوا باسم الله، لا تقتلوا شيخا فانيا، ولا طفلا صغيرا، ولا امرأة، ولا تغلوا، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين"(رواه أبو داود في السنن).

وجاء في وصية أبي بكر لأسامة بن زيد حينما سيره إلى الشام: "لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تقطعوا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا للأكل، وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له".

هذه النصوص وغيرها كثير تدل على أن احترام كرامة الإنسان أيا كان وحتى في ساحات الحرب أمر مكفول شرعا، ما لم يكن مقاتلا وخاصة إن كان شيخا أو امرأة أو طفلا، وحتى المقاتل إذا ما قُتل تحترم كرامته الإنسانية فلا يُمثل بجثته مهما كان الأمر.

ولقد امتدت يد العطف الإنساني للحضارة الإسلامية لتشمل كافة المخلوقات من الحيوانات، وحتى الجمادات مما يمكن أن يظهر على وجه البسيطة لهذا مر على المسلمين أحايين من الأزمنة المشرقة كانت فيها أوقاف خاصة تعنى بالمرضى والزمنى ليس من بني البشر فقط، ولكن من الحيوانات أيضا.

لكن زماننا هذا زمان آخر تمنع فيه الإغاثة عن بني البشر ويمنع عنهم الأرزاق والدواء والمساعدة، وتتم محاصرتهم من كل جانب، وما أحوال إخواننا بغزة في فلسطين ببعيدة، فكم من المساعدات الإنسانية الدولية أوصدَت أمامها أبوابُ القطاع، بل وحورب أصحاب هذه المساعدات وقَوتلوا وقُتلوا برا وبحرا.

وأكثر من هذا ما ذكر في بعض وسائل الإعلام يوم 26 مارس، بأن باخرة محملة بمواد غذائية وإغاثية وطبية كانت متجهة إلى بعض الحواضر الليبية لكن القائمين على الأمر هناك، المتسلطين على الرقاب، المستعبدين للعباد، حاصروها بسفنهم الحربية ودفعوها إلى الرجوع من حيث أتت.

هكذا بكل بساطة، حتى إغاثة الجائع ممنوعة في شرائع هؤلاء! ثم بعد ذلك يدعون بأنهم مسلمون، ومن العجيب انه في نفس اليوم كانت قناتهم الفضائية الفاضية تُضيِّف أحد" المشايخ" المزعومين، يدعو إلى لَمِّ الشمل وصلة الرحم وأي لم للشمل وأي صلة للرحم في ظل إبادة جماعية لم يسلم منه الحجر فكيف بالبشر!!!.

1- كتاب الخراج لأبي يوسف. 2- كتاب الأموال لأبي عبيد.

د. عبد الرحيم بلحاج

قوانين القرآن الكريم 13

لخبير الجمال الدعوي الدكتور محمد راتب النابلسي

قانون العداوة والبغضاء

التمايز بين أهل الولاء وأهل البراء منطلق العداوة والبغضاء:

... لا زلنا في قوانين القرآن الكريم، والقانون اليوم قانون العداوة والبغضاء، وما أكثر العداوة والبغضاء بين بني البشر... حينما قال الله عز وجل ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان﴾الأحزاب :72) فالبشر بعضهم حمل الأمانة وأداها كما أراد الله عز وجل، هؤلاء لهم صفات، والذين خانوا الأمانة لهم صفات. تنطلق العداوة والبغضاء من تباين بين نموذجين من بني البشر: نموذج حمل الأمانة وأداها كما ينبغي، ونموذج لم يحملها فوقع في شر عمله.

... لابد من أن نبين أن البشر على اختلاف مللهم ونحلهم، وانتماءاتهم وأعراقهم، وأنسابهم وطوائفهم، ومذاهبهم وتياراتهم؛ كل هذه التقسيمات وتلك المصطلحات من وضع البشر، ولكن **البشر عند الله، وفي ضوء القرآن الكريم، لا يزيدون عن نموذجين لا ثالث لهما:**

- **نموذج عرف الله، فانضبط بمنهجه، وأحسن إلى خلقه، فسلم وسعد في الدنيا والآخرة؛**
- **ونموذج غفل عن الله، وتفلت من منهجه، وأساء إلى خلقه، فشقي وهلك في الدنيا والآخرة؛ ولن تجد نموذجا ثالثا.**

من أين تأتي العداوة والبغضاء؟ إن الذي عرف الله واتصل به اشتق منه الكمال، فهو رحيم، هو عدل، هو منصف، هو لطيف، هو حكيم، هو عفو؛ مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى، فإذا أحب الله قوما، إذا أحب الله عبدا، منحه خلقا حسنا؛ فهذا الذي عرف الله وأدى الأمانة، واتصل به وأقبل عليه، اشتق منه الكمال، فله صفات يتميز بها، بل يتفوق بها؛ أما الذي غفل عن الله وتفلت من منهجه، وأساء إلى خلقه، خسر هذه الكمالات، فصار لئيما حقودا كذوبا، ظالما متجنيا، متعجرفا متغطرسا، فالتناقض بين صفات هؤلاء وصفات هؤلاء، هو أحد أسباب العداوة والبغضاء.

وقانون العداوة والبغضاء في هذه الآية الرائعة ﴿فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾(المائدة : 15) **وما دام الإنسان بعيدا عن الله، فصفاته تتناقض مع صفات الذي آمن بالله تناقضا مريعا**، وقد يسأل سائل: لِمَ لَمْ يجعل الله هؤلاء الذين لم يؤدوا الأمانة في كوكب آخر؟ لأراحوا واستراحوا، بل لِمَ لَمْ يجعلهم في قارة أخرى؟ بل لِمَ لَمْ يجعلهم في حقبة بعيدة عنا؟ لكن قرار الله أن نعيش معا، وأن نلتقي مع بعضنا بعضا، وأن يظهر التباين الصارخ بين المؤمنين وبين غير المؤمنين ﴿أفمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون﴾السجدة :18) ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾(القلم :35).

... ﴿أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾(القصص :61) ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾(الجاثية :21) إذن هناك صنف من بني البشر أدى الأمانة، فاتصل بالله واشتق منه الكمال، وهناك صنف آخر لم يؤد الأمانة، وانقطع عن الله، وأصبح يعاني ما يعاني من أمراض البعد عن الله، أو من أعراض الإعراض عن الله: لؤم، كبر، غطرسة، أنانية، ظلم، عدوان.. هذا التناقض بين صفات المؤمنين وصفات غير المؤمنين، هو سبب العداوة والبغضاء، لذلك كما يقال: يكون على رأس الهرم البشري زمرتان هما الأقوياء والأنبياء، الأقوياء ملكوا الرقاب، والأنبياء ملكوا القلوب، الأقوياء أخذوا ولم يعطوا، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا، الأقوياء عاش الناس لهم، والأنبياء عاشوا للناس، الأقوياء يمدحون في حضرتهم، الأنبياء يمدحون في غيبتهم؛ لذلك أحب الناس الأنبياء وخافوا من الأقوياء، بل إن كل البشر تبع لقوي أو نبي، فهذا الموظف الذي يستخدم ما أوتي من سلطة ليستعلي بها على الآخرين هو من أتباع الأقوياء، وهذا المؤمن الذي يستخدم كماله ليؤثر في الآخرين هو من أتباع الأنبياء.

يكون على رأس الهرم البشري زمرتان هما الأقوياء والأنبياء، الأقوياء ملكوا الرقاب، والأنبياء ملكوا القلوب، الأقوياء أخذوا ولم يعطوا، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا، الأقوياء عاش الناس لهم، والأنبياء عاشوا للناس، الأقوياء يمدحون في حضرتهم، الأنبياء يمدحون في غيبتهم؛ لذلك أحب الناس الأنبياء وخافوا من الأقوياء، بل إن كل البشر تبع لقوي أو نبي

الإصلاح الشامل لذات البين إكسير العداوة والبغضاء :

لذلك... **قضية العداوة والبغضاء قضية أزلية أبدية، بل إن معركة الحق والباطل معركة أزلية أبدية، فهذا قدر المؤمنين، وهذا أحد أسباب تفوقهم، لأن الحق لا يقوى إلا بالتحدي، وإن أهل الحق لا يستحقون عطاء الله يوم القيامة، إلا ببذلهم وعطائهم وجهدهم الكبير الذي بذلوه من أجل سعادة البشرية**، لذلك ليس من حديث يصدق في هذا الموضوع على قانون العداوة والبغضاء **كقول النبي ﷺ : «والذي نفس محمد بيده ما تواد اثنان في الله ففرق بينهما إلا بذنب أصابه أحدهما».** وقد تفسر هذه المودة والمحبة بين المؤمنين بهذا البحث العلمي، في كل إنسان مجموعة من الصفات، وفي إنسان آخر مجموعة أخرى، فكلما كان التقاطع كثيرا بين صفات هؤلاء وهؤلاء كان الحب والود؛ وكلما كان التقاطع قليلا بين هؤلاء وهؤلاء كانت العداوة والبغضاء؛ يعني كلما ازدادت القواسم المشتركة بين إنسانين كان بينهما الحب والمودة، فإذا ابتعدت هذه القواسم المشتركة كانت العداوة والبغضاء؛ فلذلك ورد في بعض توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام ألا تصاحب إلا مؤمنا و لايأكل طعامك إلا تقي.

... الله عز وجل يقول في كتابه الكريم ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾(الأنفال :1) وكل أمر في القرآن يقتضي الوجوب.. وقد فهم الإمام الغزالي رحمه الله تعالى هذا التوجيه القرآني على ثلاثة مستويات: أولا أصلح العلاقة بينك وبين الله، هي في الدرجة الأولى أساس كل نجاح، ولا ننسى... أنه **ليس هناك نجاح جزئي، النجاح شمولي، فلابد من أن تنجح في علاقتك مع الله، وفي علاقتك مع أهلك وأولادك، وفي علاقتك في عملك، وفي علاقتك مع صحتك، فلذلك أصل النجاح أن تصلح علاقتك بينك وبين الله بالإيمان به، وطاعته والتقرب إليه والإقبال عليه ومحبته.**

المستوى الآخر "أصلحوا ذات بينكم" أصلح كل علاقة بينك وبين الآخر، أصلح علاقتك مع أهلك، مع أولادك، مع جيرانك، مع أصدقائك، مع زملائك، مع أهل بلدتك، مع مواطني أمتك، أصلح هذه العلاقة، ويصلحها العدل والإحسان ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾(النحل :90) ثم ينبغي أن تصلح هذه العلاقة بين كل إنسانين، كن وسيط خير ، تدخل لرأب الصدع ولم الشمل، والإصلاح بين زوجين، أو بين أخوين، أو بين شريكين؛ فقانون العداوة والبغضاء ينطلق من قوله تعالى : ﴿فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾(المائدة :15) وإلى لقاء آخر إن شاء الله...

مواقف وأحوال

يا أمير المومنين

ابن السماك والفضيل بن عياض وأبو العتاهية والأصمعي وآخرون يعظون الخليفة، وكلهم يناديه يا أمير المومنين، فيبكي ويبكي، ولكن الخليفة وهو في قصوره وبين جواريه لا ينسى أن يجعل لنفسه قبرا يزوره بين الحين والآخر، ويدخله كلما أحس بغفلة عن ربه، أو قسوة في قلبه، فلنتأمل هذه المشاهد الممتعة، والمواقف الرائعة، لأمير المؤمنين هارون الرشيد رحمه الله:

قال ابن كثير(1) : دخل ابن السماك يوما على هارون الرشيد فاستسقى الرشيد، فأُتي بقُلّة فيها ماء مبرد، فقال لابن السماك عظني، فقال: يا أمير المؤمنين بكم كنت مشتريا هذه الشربة لو منعتها؟ فقال بنصف ملكي، فقال: اشرب هنيئا، فلما شرب قال: أرأيت لو مُنعت خروجَها من بدنك بكم كنت تشتري ذلك؟ قال: بنصف ملكي الآخر، فقال: إن ملكا قيمة نصفه شربة ماء وقيمة نصفه الآخر بولة! لخليق أن لا يتنافس فيه، فبكى هارون.

وقال له ابن السماك يوما: يا أمير المؤمنين إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث منه وحدك، فاحذر المقام بين يدي الله عز و جل، والوقوف بين الجنة والنار، حين يؤخذ بالكظم، وتزل القدم، ويقع الندم، فلا توبة تقبل، ولا عثرة تقال، ولا يقبل فداء بمال، فجعل الرشيد يبكي حتى علا صوته، فقال يحيى بن خالد له: يا ابن السماك لقد شققت على أمير المؤمنين الليلة فقام فخرج من عنده وهو يبكي!

وقال له الفضيل بن عياض في كلام كثير ليلة وعظه بمكة: يا صبيح الوجه إنك مسؤول عن هؤلاء كلهم وقد قال تعالى : ﴿وتقطعت بهم الأسباب﴾(البقرة : 165) قال: حدثنا ليث عن مجاهد: الوصلات التي كانت بينهم في الدينا فبكى حتى جعل يشهق!

وقال الفضيل استدعاني الرشيد يوما وقد زخرف منازله وأكثر الطعام والشراب واللذات فيها ثم استدعى أبا العتاهية فقال له صف لنا ما نحن فيه من العيش والنعيم فقال :

عش ما بدا لك سالما ... في ظل شاهقة القصور
تسعى عليك بما اشتهيت ... لدى الرواح إلى البكور
فإذا النفوس تقعقعت ... عن ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا ... ما كنت إلا في غرور

قال فبكى الرشيد بكاء كثيرا شديدا! فقال له الفضل بن يحي: دعاك أمير المؤمنين تسره فأحزنته، فقال له الرشيد دعه، فإنه رآنا في عمًى فكره أن يزيدنا عمًى،

ومن وجه آخر أن الرشيد قال لأبي العتاهية عظني بأبيات من الشعر وأوجز، فقال:

لا تأمن الموت في طرف ولا نفس ... ولو تمتعت بالحجاب والحرس
واعلم بأن سهام الموت صائبة ... لكل مدرع منها ومترس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبس

قال: فخرّ الرشيد مغشيا عليه!

وقد حبس الرشيد مرة أبا العتاهية وأرصد عليه من يأتيه بما يقول، فكتب مرة على جدار الحبس:

أما والله إن الظلم شوم ... وما زال المسيء هو الظلوم
إلى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم

قال فاستدعاه واستعجله في حلِ ووهبه ألف دينار وأطلقه!

وقال الأصمعي كنت مع الرشيد في الحج فمررنا بواد فإذا على شفيره امرأة حسناء بيديها قصعة وهي تسأل منها وهي تقول:

طحطحتنا طحاطح الأعوام ... ورمتنا حوادث الأيام
فأتيناكم نمد أكفا ... نائلات لزادكم والطعام
فاطلبوا الأجر والمثوبة فينا ... أيها الزائرون بيت الحرام
من رآني فقد رآنى ورحلي ... فارحموا غربتي وذل مقامي

قال الأصمعي فذهبت إلى الرشيد فأخبرته بأمرها فجاء بنفسه حتى وقف عليها فسمعها فرحمها وبكى وأمر مسرورا الخادم أن يملأ قصعتها ذهبا فملأها حتى جعلت تفيض يمينا وشمالا.

وأمر بحفر قبره في حياته، وأن تقرأ فيه ختمة تامة، وحُمل حتى نظر إليه فجعل يقول إلى هنا تصير يا ابن آدم، ويبكي! وأمر أن يوسع عند صدره، وأن يمد من عند رجليه، ثم جعل يقول ﴿ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه﴾(الحاقة : 28- 29)، ويبكي.

وقيل إنه لما احتُضِر قال: اللهم انفعنا بالإحسان، واغفر لنا الإساءة، يا من لا يموت ارحم من يموت!!

1- انظر ترجمة هارون الرشيد في البداية والنهاية لابن كثير ابتداء من 10/578

ذ. امحمد العمراوي
من علماء القرويين
amraui@yahoo.fr

27 ربيع الثاني 1432هـ - 01 أبريل 2011 م- العدد: 356

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾(المائدة: 27- 32).

قصة ابنيْ آدم عليه السلام (3)

غراب يعلم الإنسان

د. مصطفى فوضيل

إن من أهم المشاهد المؤثرة في هذه القصة، مشهد الغراب، وهو يبحث في التراب، ليبلغ إلى ابن آدم القاتل رسالة سيكون لها ما بعدها. وإن هذا الأمر سيستقر في البشرية إلى آخر الدهر، فيكون هذا الغراب معلما للبشرية جمعاء.

وها نحن نستعرض الفوائد انطلاقا من ألفاظ القصة وأجواءها:

1- تدبير الله تعالى شؤون خلقه:

يستفاد من إسناد فعل البعث إلى الله عز وجل، أن البشرية وما يحدث فيها من أحداث كبيرة أو صغيرة كلها تجري على عين الله تعالى، فهو سبحانه مطلع على كل ما يحدث في الخلق، ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(سبأ: 3).

لقد كان الله سبحانه عز وجل ينظر إلى أحوال هذا القاتل وأخيه المقتول بكل تفاصيلها، الظاهرة منها والباطنة. ومنها أن القاتل بعد أن انهزم أمام داعي الشر وطوعت له نفسه قتل أخيه، أصبح حائرا لا يدري ما يفعل بأخيه.

وواضح أنه بقي مع أخيه المقتول مدة لم يهتد فيها إلى أحسن الطرق في التعامل مع جثمان أخيه. ولا شك أن القاتل -فضلا عن أنه لم يستفد أي فائدة من وراء قتل أخيه- قد عاش حالة من العذاب النفسي وهو ينظر إلى أخيه ميتا يتغير شكله ورائحته وسائر أحواله. ولذلك نادى بالويل ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾، "والسوأة هي التي يسوء الإنسان أن يراها بارزة، فالسوءة ما يسوء ظهوره، ورؤية جسد الميت، ولا سيما المقتول، يسوء كل من ينظر إليه ويوحشه". (المنار لرشيد رضا).

فكان بعث الغراب حلا للإشكال والحيرة التي استحكمت في نفس القاتل وعقله.

وقد قال ابن عاشور في معنى البعث هنا: "البعث هنا مستعمل في الإلهام بالطيران إلى ذلك المكان، أي فألهم الله غرابا ينزل بحيث يراه قابيل".

2- غراب يعلم الإنسان:

وفي وجه اختيار الغراب من سائر الحيوان ثم من سائر الطير. يقول ابن عاشور: "كأن اختيار الغراب لهذا العمل إما لأن الدفن حيلة في الغربان من قبل، وإما لأن الله اختاره لذلك لمناسبة ما يعتري الناظر إلى سواد لونه من الانقباض بما للأسيف الخاسر من انقباض النفس. ولعل هذا هو الأصل في تشاؤم العرب بالغراب، فقالوا: غراب البين" ا.هـ. (التحرير والتنوير)

وهذا الكلام يجعل الغراب قطعة سوداء تزيد مشهد القتل والموت والظلم والخسران والندم سوادا وظلاما.

فهذا من جهة ما يناسب المقام، وانسجام عناصر المشهد؛ لكن حين ننظر إلى القصة من زاوية التربية والتوجيه والتعليم فإن الأمر يأخذ أبعادا أخرى. كأن سؤالا يرد، وهو كيف علَّم الغراب الإنسانَ؟

وفي الجواب عن هذا السؤال اختلفت أقوال المفسرين، فذهب بعضهم إلى أن غرابين اقتتلا وهو ينظر إليهما، فقتل أحدهما الآخر، ثم بحث في الأرض حتى أحدث فيها حفرة، ثم ألقاه فيها وأهال عليه التراب. ونسب رشيد رضا هذا القول إلى جمهور المفسرين قال: "وما جاء هذا إلا من الروايات التي مصدرها الإسرائيليات، على أن مسألة الغراب والدفن لا ذكر لها في التوراة، وفي هذه الروايات زيادات كثيرة، لا فائدة لها ولا صحة" ا.هـ. (المنار لرشيد رضا).

وذهب بعض آخر إلى أن المبعوث غرابٌ واحدٌ، وهو المتبادر من الآية، قال أبو حيان: "والظاهر أنه غراب بعثه الله يبحث في الأرض ليري قابيل كيف يواري سوءة هابيل، فاستفاد قابيل ببحثه في الأرض أن يبحث هو في الأرض فيستر فيه أخاه" ا.هـ (البحر المحيط).

ويفسر رشيد رضا لفظ البحث فيقول: "فبحث في الأرض، أي حفر برجليه فيها، يفتش عن شيء، والمعهود أن الطير تفعل ذلك لطلب الطعام، والمتبادر من العبارة أن الغراب أطال البحث في الأرض، لأنه قال "يبحث" ولم يقل بحث، والمضارع يفيد الاستمرار، فلما أطال البحث أحدث حفرة في الأرض، فلما رأى القاتل الحفرة، وهو متحير في أمر مواراة سوءة أخيه، زالت الحيرة، واهتدى إلى ما يطلب، وهو دفن أخيه في حفرة من الأرض. هذا هو المتبادر من الآية" ا.هـ. (تفسير المنار).

وهذا المعنى الأخير متناسب مع ما ركبه الله تعالى في الإنسان من قدرة على التحليل والاستنتاج، والانتقال من المعلوم إلى المجهول. فتعليقه بقوله: ﴿أعجزت أن اكون مثل هذا الغراب؟﴾ إحساس منه بالتفوق في معرفة الأشياء وكيفية التصرف فيها. ومعروف أن هذه الحالة تتكرر كثيرا، في حياة العقلاء والعلماء فضلا عن الدهماء والجهلاء، وهي أن المعلومة تكون قريبة جدا من الباحث عنها ولكنه يعجز عن الوصول إليها إلا بمصادفة أو جهد بالغ.

وفي المسالة قول ثالث، وهو لأبي مسلم، قال: "إن من عادة الغراب دفن الأشياء، فجاء غراب فدفن شيئا، فتعلم منه ذلك" ا.هـ. (انظر تفسير الرازي والقرطبي). قلت: وهذا معروف من عادة عدد من الحيوانات أنها تواري طعامها عن منافسيها لتعود إليه لاحقا.

3- وفرة في المعلومات فهل من مستفيد؟؟؟

لاشك أن الغراب مذكور هنا لحكمة خاصة. ولكن هذا لا يمنع من اعتباره نموذجا لمصادر المعلومات الغزيرة المبثوثة في الكون، كيفما كانت طبيعة تلك المصادر: حيوانا أم جمادا، كبيرة أم صغيرة في الأرض أم في السماء.

وفي الكون عجائب وغرائب تحير الألباب. وقد رأيت بأم عيني في أدغال أفريقيا، طائرا صغيرا، يقتات على حشرة يفصل بين ميلادها وموتها ثوان معدودة، حيث يقف على غصن شجرة قصيرة منتظرا خروجها من الأرض طائرة بأجنحتها، حتى إذا خرجت انقض عليها. وقد كنت أنظر إلى الأرض فإذا بالرمل ينزاح شيئا فشيئا لتخرج هذه الحشرة محلقة في الهواء. فمنها من يأتيها أجلها عند أول لقاء لها بالسماء، ومنها من تمهل لبضع سنتيمترات ومنها من تمهل أمتارا، ومنها من ينجو، ومنها... ومنها.... ورأيت في بعض البرامج الوثائقية طائرا عجز عن كسر بيضة لطائر آخر، فكان يحمل الحجر بمنقاره ويضرب به البيضة. ورأيت آخر على ضفة بركة يلقي بالحشرة فوق الماء ثم ينتظر صعود السمكة التي تريد الحشرة فينقض عليها.... ورأيت.. ورأيت...

وهاهنا تفاصيل:

1.3- إن تعليم الله تعالى للإنسان بمختلف الوسائل نعمة امتن بها عليه فقال: ﴿اقرأ بسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم عَلَّمَ الْأِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

قال أبو السعود: ﴿عَلَّمَ الْأِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ هو "بدل اشتمال من ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ أي علمه به وبدونه من الأمور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله. وفي حذف المفعول أولا وإيراده بعنوان عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والإشعار بأنه تعالى يعلمه من العلوم ما لا تحيط به العقول ما لا يخفى". (إرشاد العقل السليم). ويلاحظ في سياق النص ذكر الخلق من فعل الله تعالى والكرم من صفته، وأن تعليم الإنسان من تجليات القدرة والإكرام. وهذا قريب من مطلع سورة الرحمن حيث ذكر الخلق والرحمة، فسبحان الخالق الأكرم الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء.

وقد جعل سبحانه وتعالى الإنسان قادرا على الاستيعاب، وجعل مخلوقاته في الكون مهيأة لإرسال ما هو بحاجة إليه من المعلومات، فجمع الله تعالى له في ذلك بين القدرة على معرفة الأشياء وتبيُّنها، والتعريف بها وبيانها، مع استعداد هائل لاستيعاب كمٍّ هائل من المعلومات التي يصل إليها بالتفاعل مع الكون واستحضارها بسرعة فائقة عند الحاجة، وإرسالها بكيفية متوائمة مع غيره ليحدث التواصل والتفاهم والتعارف.

3. 2- بين حركة الإنسان نحو المعلومة، وحركة المعلومة نحو الإنسان:

قد سبق من كلام ابن عاشور ما يفيد أن قول الله تعالى ﴿فبعث الله غرابا ليريه﴾ أنه ألهمه بأن ينزل بحيث يراه قابيل. ومعنى ذلك أن القاتل كان ثابتا في مكانه بجنب جثة أخيه. أي أن المعلومة هي التي جاءته، ولم يسع هو إليها. وجاءته من مصدر غير متوقع إطلاقا. فقد كان يعرف الغراب، ولكنه لم يكن يعيره أي اهتمام، حتى اضطر إليه، وألجأته الحاجة وهو يبحث عن مخرج، فوقعت عينه مصادفة على الغراب وهو يفعل ما يفعل. وأنت ترى ما في كلامه من التهوين من أمر الغراب حين قال: ﴿أعجزت أن اكون مثل هذا الغراب﴾.

وإن من ثمرات ما سبق أن نستخلص جملة قواعد وثمرات منها :

● قاعدة في التعامل مع خلق الله عز وجل وهي: **"لا تحقرن شيئا من خلق الله تعالى".**

● أن الإسلام بتوجيهاته الكثيرة جدا، ينبه الإنسان على أن يكون طالبا للمعلومة، مبادرا إلى استثمار ما هو مبثوث في هذا الكون الفسيح. حتى يكون ممن مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الألْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(آل عمران : 190- 191). ولا ينطبق عليه قوله تعالى ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾(يوسف : 105). أو قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (يونس: 5- 8).

● أن من مقاصد التربية في الإسلام، ألا تقدم المعلومة جاهزة، إذا علمت قدرةُ المتعلم على التحليل والاستنتاج. بل ينبغي فقط إثارة عقله ودفعه إلى الاجتهاد. ولذلك قال الله تعالى ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالابْصَارَ وَالافْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الانْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ اصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا الَى حِينٍ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾(النحل : 78- 82). بالسمع والبصر يكون الاستيعاب وبالفؤاد يكون التحليل والتعليل والتركيب والاستنتاج.

● ومن أهم ما يستفاد من فعل الغراب، الذي بعث بأمر الله عز وجل هو أن التعليم ينبغي أن يهتم بالتأسيس الذي يصمد أمام الزمن مهما امتد أو اتسع. فإن حركة الغراب التي ألهمت عملية الدفن، ستستقر في البشرية وتصير عرفا ثابتا عند الجميع باستثناء بعض الأقوام الذين يلجؤون إلى الحرق أو غيره. وهي قلة بالمقارنة مع اتساع البشرية وامتدادها في الزمان وفي المكان.

ومعنى ذلك أن التخطيط للتعليم ينبغي أن يقوم به عقلاء الأمة وعلماؤها الخبراء بتاريخها وأصولها ومقوماتها وخصائصها، وأن يكون عملهم مبنيا على مشاريع حضارية وتربوية تنظر إلى الماضي بعمق، وإلى الحاضر باستيعاب، وإلى المستقبل ببصيرة ثاقبة، ليعرف ما كان وما هو كائن وما ينبغي أن يكون.

نسأل الله تعالى أن يهيئ لنا من أمرنا رشدا، وهو سبحانه المستعان.

خلق المجاهدة ومستلزماتها

ذ. عبد اللطيف احميد الوغلاني

مقدمة :

الإنسان في هذه الحياة الدنيا يعيش حالة من الصراع والفتن مع أعداء ظاهرين، وآخرين لا يراهم، وربما كان هذا النوع الثاني أشد فتكا من أعدائه المشاهدين، ولذا كان لا بد له من التيقظ والحذر الدائمين ليتخلص من مكرهم وخداعهم وكل شرورهم. وإن أعدى أعداء المرء هي نفسه الأمارة بالسوء التي بين جنبيه لأنها دائمة الحث له على نيل كل مطلوب وتحقيق كل مرغوب والفوز بكل لذة حتى وإن خالفت أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، والعبد إذا أطاع نفسه وانقاد لها في غير ما أحله الله كان من الهالكين، أما إن جاهدها وألجمها بلجام الإيمان والتقوى، فإنه يحقق بذلك نصرا على هواه وعلى أعدائه من شياطين الإنس والجن على السواء، ويرقى بذلك إلى منزلة عظيمة من منازل الجهاد.

وإن حُكم إزالة ما بنفس الإنسان من صفات النقص فرض عين -كما نص على ذلك عامة الفقهاء، وذلك من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب- مع العلم أنه لا يمكن إزالتها بالأماني ولا بمجرد الاطلاع على حكم تزكيتها أو قراءة كتب الأخلاق والتزكية فحسب، بل لابد بالإضافة إلى ذلك من مجاهدة وتزكية عملية تكون بالليل والنهار وفي سائر الأوقات والأزمان، ليستطيع الإنسان فطام نزوات نفسه الجامحة وكبح شهواتها العارمة، "فالنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم". قال رسول الله ﷺ : «ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب». فقد أخبر رسول الله ﷺ من خلال قوله هذا من بين ما أخبر به، عن حقيقة المجاهد بأنه من جاهد نفسه في طاعة الله سبحانه وتعالى.

فجهاد النفس إذا من أفضل أنواع الجهاد، بل هو أكبر أنواع الجهاد وأكملها، يقول ابن بطال رحمه الله :" جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل، قال تعالى : ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾(النازعات : 40). ويقع بمنع النفس عن المعاصي، والشبهات، والإكثار من الشهوات المباحة لتتوفر لها في الآخرة". ومن ثم فإن مما ينبغي أن يتعاهده المرء هو مجاهدة نفسه بكل الوسائل والطرق الممكنة، ولا سيما في هذه الأزمان المتأخرة التي استحكمت فيها الشهوات، وارتطمت فيها أمواج الفتن والشبهات، إلى درجة أن المؤمن قد يمسي مؤمنا ويصبح كافرا ويصبح مؤمنا ويمسي كافرا، وساعتها يصبح الحليم حيرانا لا يدري ماذا يفعل والعياذ بالله، ولن يسلم من هذه الحال إلا من عصمه الله تعالى. لذا على المسلم مجاهدة نفسه باستمرار، ليحقق فوائد المجاهدة ويجني ثمارها، ويفوز بخير الدارين، السعادة في هذه الدنيا والفوز بالجنة في الدار الآخرة.

تعريف المجاهدة ودليلها من الكتاب والسنة :

فما معنى المجاهدة وما دليلها؟

فأما معناها، فيقول العلامة الراغب الأصفهاني رحمه الله في المفردات في مادة " جهد" الجهد بفتح الجيم والجهد بضمه : الطاقة والمشقة، وقيل : الجَهد بالفتح : المشقة، والجُهد بالضم : الوسع.

وقيل : الجُهد بالضم للإنسان، وقال تعالى: ﴿والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾(التوبة :79). وقال تعالى : ﴿وأقسموا بالله جَهد أيمانهم﴾(النور : 53)، أي حلفوا واجتهدوا في الحلف أن يأتوا به على أبلغ ما في وسعهم. والاجتهاد : أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة : يقال : جهدت رأيي وأجهدته : أتعبته بالفكر، والجهاد.

والمجاهدة : كما يقول العلامة الجرجاني صاحب التعريفات " في اللغة : المحاربة، وفي الشرع : محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب في الشرع"(1). ويقول الأصفهاني : المجاهدة : استفراغ الوسع في مدافعة العدو، والجهاد ثلاثة أضرب :

- مجاهدة العدو الظاهر.
- ومجاهدة الشيطان.
- ومجاهدة النفس.

وتدخل ثلاثتها من خلال أدلتها من الكتاب والسنة في قوله تعالى : ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾(الحج:78)، وقوله ﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾(التوبة : 41)، وقوله ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾(الأنفال : 72). وقوله [:"والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل"(2). والمجاهدة تكون باليد واللسان، قال ﷺ «جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم»(3).

ويقول عز من قائل : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾(العنكبوت:69) وهي آية مكية، ومن المعلوم أن جهاد الكفار قد شرع في المدينة، الشيء الذي يدل على أن المراد من الجهاد هنا هو جهاد النفس. يقول العلامة المفسر ابن جزي في تفسير هذه الآية يعني : "جهاد النفس" ويقول العلامة المفسر القرطبي في تفسيره لهذه الآية :"قال السدي وغيره : إن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال". ويقول ابن القيم رحمه الله عند وقوفه عند هذه الآية :"علق سبحانه الهداية بالجهاد"(4). مما يفهم منه أنه لا هداية للإنسان إلا بالجهاد.

من خلال ما سبق الحديث عنه في هذا العنصر نخلص إلى أن الجهاد والمجاهدة بمعنى واحد وإن كان بينهما عموم وخصوص فالجهاد لفظ عام والمجاهدة على وزن مفاعلة بمعنى المدافعة فهو لفظ مخصوص يتجه معناه إلى مجموعة الطرق والوسائل التي بها يدافع الإنسان عن نفسه كل ما يثبطها عن طاعة الله ويستجلب لها كل ما يعينها على ذلك، ليرقى الإنسان إلى منزلة المجاهدة والمجاهدين السالكين إلى الله تعالى. ومن ثم يمكن القول : المجاهدة، خلق رباني ومنزلة إيمانية عالية ووسيلة تربوية تتمثل في استفراغ الإنسان وسعه في مدافعة أعدائه ونحوهم، تزكية لنفسه وتقوية لها على فعل الطاعات واجتناب المحرمات، بل هي عبادة لا تنفك عن عباد الله الصادقين المخلصين وملازمة لهم في كل وقت وحين إلى أن يرحلوا من هذه الدنيا الفانية وينتقلوا إلى ربهم في الآخرة الباقية. والمجاهدة على أربعة أضرب كما يقول ابن القيم رحمه الله :"وأفرض الجهاد جهاد النفس وجهاد الهوى وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته. ومن ترك الجهاد فإنه من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد"(5).

والمتأمل في هذه الأنواع جميعها يجدها داخلة في مراد الله من الآيات السابقة، إذ الأمر بالجهاد والحث عليه فيها بالنسبة إلى جهاد النفس إرشاد إلى ما يدركه العقل بنفسه، لأن جهاد النفس في الحقيقة عبارة عن فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات والمشتبهات، والقيام بذلك شكر للمنعم وهو واجب عقلا، وتركها سبب للوقوع في المهالك ونيل العذاب الأليم، ورفع الضرر واجب عقلا، فإن الأوامر في هذه الآيات كأوامر الطاعة والتسليم والاتباع المطلق لله تعالى ورسوله ﷺ، وكذا النصوص الحاثة على ذلك من السنة الشريفة كلها إرشادات إلهية ونبوية لها أولويتها ويترتب على موافقتها للشرع سعادة الإنسان وعلى مخالفتها له شقاوته.لذلك فإذا حاسب الإنسان نفسه عندما يراها قد اقترفت معصية كانت متعلقة بتقصير في امتثال المأمورات أو اجتناب المنهيات، فينبغي له أن يعاقبها بالعقوبة المناسبة لكل ذنب ويؤدبها بأنواع التأديبات الشرعية المناسبة فيلزمها بمجموعة من الأوراد وبفنون "من الوظائف جبرا لما فات منه وتداركا لما فرط، فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى، فقد عاقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بأن تصدق بأرض كان يملكها، قيمتها مائتا ألف درهم. وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة، وآخر ذات ليلة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين، كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها"(6).

قابلية مجاهدة النفس وتغيير ما بها:

مما لا شك فيه أن النفس الإنسانية فيها من القابلية لتغيير ما قد يلحق بها من نقائص وتغيير ما بها من عادات وأخلاق قبيحة، بفضل ما أودع الله تعالى في أصل خلقتها من خير وصلاح وسلامة فطرة، وإلا لم يكن هناك فائدة ولا غاية من بعث الرسل عبر جميع الأزمنة منذ بعثة سيدنا نوح عليه السلام إلى بعثة خاتم الرسل سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ولا ضرورة تبعا لذلك لمن بعدهم من ورثتهم من العلماء العاملين والمرشدين والدعاة المصلحين المخلصين.

وإذا كان كثير من الحيوانات المفترسة وسباع الطيور الشاردة وكثير من البهائم المتوحشة وغيرها قد أمكن ترويضها، وتغيير كثير من صفاتها، فإن الإنسان الذي أكرمه الله تعالى بمزايا كثيرة ومنها على الخصوص ميزة العقل والتمييز ورد الكلام وخلقه في أحسن تقويم وأحسن صورة، من باب أولى يسهل تغيير حاله حين فساده وإصلاحه ونقله من سيئ إلى حسن ومنه إلى أحسن بتوفيق من الله عز وجل الذي بيده هداية الخلق أجمعين، طبقا لقول الحق جل وعلا : ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له﴾(الأنفال : 53).

وليس المقصود بمجاهدة النفس استئصال صفاتها جميعها بل المراد بذلك تقوية وتزكية الموجود وإيجاد المفقود واجتثاث غير المحمود، لتكون وفق النموذج القرآني الفريد، فتحول الصفات المذمومة بالمجاهدة والتزكية إلى صفات حسنة ممدوحة. وأما كيف يتم ذلك فالأمثلة كثيرة.

فالغضب مثلا صفة مذمومة أصلا حينما يغضب الإنسان لنفسه، وأما إذا غضب لله تعالى فعندها يكون الغضب مشروعا، كما كان رسول الله ﷺ لا يغضب لنفسه ساعة أوذي في الله وضرب وأدمي عقبه يوم الطائف، بل دعا لمن آذوه بالهداية والتمس لهم العذر فقال :"اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون"(7) وإنما كان ﷺ يغضب إذا انتهكت محارم الله أو عطل حد من حدوده، وقد غضب يوم أن جاء أحد صحابته يستشفع في حد من حدود الله لامرأة كانت من أشراف قومها. قال الإمام البخاري رضي الله عنه حدثنا قتيبة، حدثنا ليث، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا من يكلم فيها رسول الله؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله، فكلمه أسامة فقال : " أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام خطيبا، ثم قال : إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"(8).

وكذلك صفة الكبر فهي مذمومة حين يتكبر المسلم على إخوانه المسلمين، لكن حينما يتكبر على أعداء الإسلام ومحاربيه في ساحة الوغى فهو تكبر في سبيل الله تعالى غير ممقوت في مثل هذه الأحوال كما اشتهر ذلك في السيرة في غزوة أحد لما جمع الرسول ﷺ الصحابة الكرام وقال لهم من يأخذ هذا السيف بحقه فأخرس القوم فقام أبو دجانة الأنصاري فقال أنا يا رسول الله... ولما أخبره بحقه أخذ السيف وبدأ يتبختر في مشيته في ساحة المعركة أمام الأعداء فقال له الرسول ﷺ : "إن هذه مشية يبغضها الله ورسوله إلا في مثل هذا الموطن". وهكذا فإن معظم الصفات المذمومة تغير بالمجاهدة وتحول إلى صفات محمودة.

مراتب مجاهدة النفس :

بقدر اجتهاد الإنسان في مجاهدة نفسه بكل وسائل وطرق المجاهدة التي يجب العمل بها واستفراغ الوسع في تحصيل منافعها بقدر ما تتم ترقيته في منازل السالكين إلى الله تعالى فيبلغ بذلك أعلى المراتب والدرجات فيفوز بحب الله تعالى ورضاه.

قال بعض الأئمة : وجهاد النفس أربع مراتب :

1- حملها على تعلم أمور الدين. فالمطلوب من المسلم التفقه في دينه إلى درجة الحكمة، لمعرفة حكم الله تعالى ورسوله في كل صغيرة ليتقي العمل بهوى نفسه، فإنما التعبد يقوم على العلم قبل العمل ولذا وجب على المسلم ألا يقدم على شيء حتى يعلم حكم الله فيه.

2- حملها على العمل بذلك. إذ أن فائدة العلم هو أن يدفع حامله إلى العمل بما علم، ولا عبرة بعلم لا يعقبه عمل، و«لا خير في علم لا ينتفع به»، بل إذا كان حال المرء العالم لا ينتفع بعلمه الذي يحمله فإن الله يمقته ويبغضه ولا يحبه، يقول الحق جل وعلا : ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾(الصف : 2).

3- حملها على تعليم من لا يعلم. فحامل العلم يتحمل مسؤولية عظيمة، بحيث يجب عليه تلقين العلم ونشره بين الناس، لأن العلم والتعلم سبيل لمعرفة الله والتماس هداه الذي بعث به أنبياءه ورسله جميعا.

4- الدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده، وجهاد من خالف دينه وجحد نعمه. فالدعوة إلى هدى الله تعالى والإيمان به سبيل النجاة، ووسيلة لحماية دينه من تحريف المغالين وانتحال المبطلين، ووسيلة لقطع أطماع الشيطان وأعوانه المتمثلة في غواية الناس وإضلالهم عن سبيل الهدى والحق النازل من عند الله تعالى.

1- التعريفات، ص : 204.
2- أخرجه الترمذي في الزهد عن فضالة بن عبيد الله 160/4. وفي الجهاد برقم 1621. وقال حديث حسن صحيح. وأخرجه أبو داود في الجهاد برقم 2500.
3- أخرجه ابن حبان برقم 1618 وصححه. وصححه النووي في رياض الصالحين، ص: 515. انظر كتاب مفردات القرآن الكريم، ص : 208.
4- الفوائد، ص: 69.
5- الفوائد،ص :69.
6- المستخلص في تزكية الأنفس،ص:129. لسعيد حوى رحمه الله تعالى بتصرف.
7- رواه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء.
8- وأخرجه بقية الجماعة من طرق، عن الليث بن سعد به.

إمام المسجد ودوره في ترشيد الأسرة

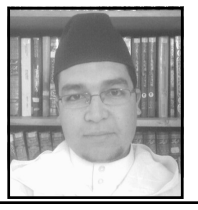

ذ. امحمد رحماني

غير خاف على أحد سواء كان من المثقفين أو من غيرهم أن إمام المسجد يمارس دورا مهما في ترشيد الحياة العامة للناس من خلال مجموعة من التدخلات والتي هي أصلا من طبيعة عمله ومسؤوليته تجاه مجتمعه .

فالإمام هو الشخص الذي يراه المجتمع في موقع يقتضي الكمال نوعا ما -إن صح التعبير- وقلة الخطأ والزلل وانعدام الضلال بسبب ملازمة الشريعة له وملازمته لها وطول باعه فيها وانقضاء عمره في دراستها، لذلك تكون تصرفاته مبنية على ضوابط شرعية وعقلية رصينة لا يتطرق إليها شيء مما يمكن أن يتطرق لمن هو بعيد عن الشريعة وأحكامها أو لم تتوفر له ظروف الملازمة والدراسة، فالإمام يأخذ شرعيته وصوابه واتزانه من شرعية الشريعة واتزانها وجريان الحق فيها.

هذا الأمر الذي يشكل دافعا قويا ومبررا كافيا لمجموع الناس بالتماس العون والمساعدة والإرشاد فيما يمكن أن يختلط عليهم في أمورهم الدينية والدنيوية على حد سواء من هذا الشخص الذي يحتل في منظورهم وطبيعة فكرهم مرتبة تمكنه من أن يكون هو الكفيل بهذه المهمة بامتياز دون منازع، فهو يعمل بشكل عام على تمتين الصلات الاجتماعية والروحية والوطنية والإحسانية والدينية بين الناس ومحاربة كل ما من شأنه أن يرخي هذه الصلات أو يقطعها. وقد أوصى النبي ﷺ الناس عند وقوع الملمات أن يلزموا الإمام ويأخذوا برأيه فقد قال لحذيفة بن اليمان : "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم" ولو أن الإمام هنا يمكن أن يقصد به الخليفة إلا أنه يدخل فيه كذلك حتى إمام المسجد وذلك لنيابته عن الخليفة.

والأسرة جزء لا يتجزأ من هذا المجتمع الذي ينشط فيه الإمام ، بل هي الخلية التي تستدعي الأولوية عنده للمعالجة عند حدوث أي أمر يتطلب التدخل الإيجابي والسريع حتى يبقى المجتمع متلاحم الأطراف متوحد الأجزاء غير قابل للتفرقة أو الانحراف أو التعرض لدواعي التشتت الأسري الخطير.

ودورالإمام في ترشيد الأسرة دور خطير للغاية يتطلب التدخل السريع والفعال والإيجابي في ذات الوقت، لأنه لا يمكن أن ينتج عن تدخل الإمام في ما يقع للأسرة من طلاق أو شقاق أو أمر سلبي كتشتت الأسرة واختلافها الزائد وإنما يجب أن يقع عند تدخله ما من شأنه تدعيم لحمة الأسرة وحفظ بيضتها، لذلك فالنتيجة معلومة مسبقا قبل تدخل الإمام وهي النتيجة الإيجابية المفضية إلى رضى كافة أفراد الأسرة وتمتين العلاقة بينهم سواء كانوا فروعا أو أصولا.

والأسرة في وقتنا الحالي تتعرض لظروف قاهرة قد تأتي على الأخضر واليابس سواء كانت ظروفا اقتصادية أو اجتماعية أو دينية أو حتى نَسَبِيَّة تتطلب التدخل الإيجابي لفك العُقَد وإصلاح الشقوق المحتمل ظهورها عند حدوث تلك الملمات، وفي الحقيقة لو كان الإمام حاضرا في كل ما يقع للأسرة وما يروج داخلها مع احترام الأمور الخاصة لها طبعا لما وصلت أسرة إلى المحكمة من أجل فك النزاع وكم من قضايا هائلة حُلت مشاكلها عند أبواب المساجد ولم تصل إلى أبواب المحاكم.

ولعل ما يروج في ذهني الآن مما يمكن أن يقوم به الإمام من دور هام في ترشيد الأسرة أختصره في النقاط التالية علها تكون مفيدة إن شاء الله :

- الصلح : والصلح أمر مهم في سيرورة الحياة العامة فهو أمر شائع وجائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا، وكثيرا ما تتعرض الأسرة إلى عواصف قوية بين الزوج والزوجة قد تذهب استقرار الأوضاع وطمأنينتها، فيكون تدخل إمام المسجد الذي تكون الأسرة في حيزه الترابي أمرا ضروريا لا رجوع عنه كي يلين الأمور ويهدأ النفوس ويعمل على إرجاع الاستقرار إلى الأسرة وسحب كل ما من شأنه أن يكهرب أو يشحن الجو العام للأسرة سواء كانت الأسرة صغيرة أو كبيرة، لذلك **كان شيوخنا في مثل هذه المواضع لا ينطقون بكلمة حتى يقرؤوا ما تيسر من القرآن الكريم لتطمأن القلوب وتهدأ النفوس.** فعند وقوع أي أمر يخل باستقرار الأسرة يدفع أعضاءها سواء كانوا فروعا أو أصولا إلى طلب المساعدة والتدخل من أجل فض النزاع وإرجاع المياه إلى مجاريها خصوصا إذا كانت الأسرة لا تحبذ قاعات المحكمة كفيصل بينهم، وكم من مرة تدخلت من أجل الصلح فيظهر لي أن سبب المشكلة هو أمر بسيط جدا لا يرقى إلى أن يكون مثار خلاف بين الزوجة وزوجها على أن يكون قضية تتطلب شهورا للفصل فيها عند المحاكم.

فالصلح أمر ضروري لا مفر منه عند حدوث أي طارئ للأسرة وإن كنت أختلف مع بعض الحقوقين الذين يرونه بديلا لتسوية النزاعات فهو أمر أصلي وضروري عند وقوع المشاكل ولا يمكن اعتباره بديلا وإلا كان غيره أنفع منه كما هو معروف في البدائل وليس هناك أحسن وأنفع من الصلح وقد قال ربي عز وجل ﴿والصلح خير﴾.

والصلح الذي أقصده هنا ليس هو الصلح الذي يقصده الحقوقيون والذي يأتي عند حدوث الطلاق أو توقعه، وإنما أقصد تلك الزيارة التي يقوم بها إمام المسجد لأسرة جرى بين أعضائها خلاف في مسألة ما، لتسوية الأوضاع وتهدئة النفوس وتبيان الحق ورده لصاحبه وإظهار الخطأ وتنبيه مرتكبه فيخرج الإمام من المنزل وقد أصلح ما كان فاسدا قبل مجيئه. فالإمام لا يتدخل فقط فيما يقع بين الزوجين بل قد يتدخل حتى فيما يقع بين الأبناء ووالديهم أو الأبناء فيما بينهم. فالإمام هنا يرشد الأسرة إلى السكينة والهدوء ومعالجة المشاكل بالتي هي أحسن.

> **لو كان الإمام حاضرا في كل ما يقع للأسرة وما يروج داخلها مع احترام الأمور الخاصة لها طبعا لما وصلت أسرة إلى المحكمة من أجل فك النزاع وكم من قضايا هائلة حُلت مشاكلها عند أبواب المساجد ولم تجاوز أبواب المحاكم.**

والجدير بالذكر هنا أن تدخل الإمام للصلح لا يكون فقط بطلب من الأسرة بل يمكن للإمام زيارة الأسرة التي تمر بظروف صعبة وعرض مساعدته لها من تلقاء نفسه دون انتظاره طلب التدخل من الأسرة وهذا ما وجدنا عليه شيوخنا الكرام .

- الاستشارة : وقد تمر بالأسرة أمور من غير الملمات لكنها من المشتبهات والتي يراد معرفة رأي الشرع فيها فيكون اللجوء إلى الإمام أمرا لا مرد له حتى يبين قول الله وقول رسوله ﷺ ويجلي ما يمكن أن يكون خافيا على الأسرة من تفصيلات أو ما يغيب عن نظرهم من نتائج ودواعي تسقط فيها الأسرة لو لم تستشر مع الإمام فيها . فالإمام هنا يرشد الأسرة لما يمكن أن يخفى أو يغيب عليها في اختيار الأمور المعروضة عليها كاشتباه الأسرة فيما يمكن أن يكون ضروريا أو تكميليا في التربية أو الإنشاء أو الاجتماع فيكون الإمام مرشدا ودالا على الأفضل والأحسن والأولى. فدور الإمام أن يشير على الأسرة بما فيه الخير والصلاح والنفع العميم وهو من حقوق الأسرة عليه وقد قال النبي ﷺ :"وإذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه" ومن حق المسلم على المسلم أن يشير عليه بخير فما بالك بحق الأسرة على الإمام وقد روي عن النبي ﷺ قوله "من استشار أخاه المسلم فأشار عليه بغير رشد فقد خانه".

- المناسبات : وقد تمر بالأسرة مناسبات متعددة سواء كانت مناسبات فرح أو حزن فيدعى الإمام لها فلا يعدم منه فيها إرشادا لأفراد الأسرة وتبين الشرع لهم فيها كحضور التعزية وعقد الإمام لكلمة فيها يبين ما على الأسرة فعله من تمسك بالدين والسنة وترك للمحرمات والبدع وما يغضب الله ،وتليين القلوب والتذكير بقضاء الله وقدره وبما كان من رسول الله ﷺ في تلك المواضع والظروف، والكلمة في مثل هذه المناسبات أبلغ في التأثير وأنفع للتذكير لارتباط المقال بالمقام ومن الواجب على الإمام فيها ذكر عمل النبي ﷺ فيها حتى ترى الأسرة الحال التي هي عليه وحال رسول الله ﷺ التي كان عليها فإما تصحح الأسرة ما كان فيها من عيب أو تفرح وتلتزم بما كان فيها خير وسنة ، وكذلك في مناسبات الفرح كالعرس والعقيقة ومناسبات النجاح يرشد فيها الإمام الأسرة لما فيه الخير والصلاح.

إشراقة

لباس الكفار كيف؟

ذ. عبد الحميد صدوق

الاشتراك في منافع الطعام والشراب واللباس أمر عام بين بني البشر، وقاسم مشترك بين الناس، وهذه صورة من صور رحمة الله تعالى التي تشمل المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، والمستقيم والمنحرف، فلا أحد يحرم رزق ربه في هذه الحياة، قال تعالى : ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾، قال ابن عباس : شارك المسلمون الكفار في الطيبات، فأكلوا من طيبات طعامهم، ولبسوا من خيار ثيابهم، ونكحوا من صالح نسائهم، وخلصوا بها يوم القيامة، وفي رواية قال : قل هي في الآخرة خالصة لمن آمن بي في الدنيا، لا يشاركهم فيهما أحد في الآخرة، وذلك أن الزينة في الدنيا لكل بني آدم، فجعلها خالصة لأولياته في الآخرة.

وقال الضحاك : اليهود والنصارى يشركونكم فيها في الدنيا، وهي للذين آمنوا خالصة يوم القيامة.

وفي لفظ : المشركون يشاركون المسلمين في الدنيا في اللباس والطعام والشراب، ويوم القيامة يخلص اللباس والطعام والشراب للمؤمنين، وليس للمشركين في شيء من ذلك نصيب"(1).

هكذا تقرر الآية أن الناس جميعا يشتركون في أصل الزينة واللباس، لكن هناك التباس عند البعض في فهم لباس الكفار، حيث أن بعضهم يعتبر اللباس الغربي "البدلة" من لباس الكفار، فتمتد ألسنتهم للذي يلبس هذا النوع من الثياب ينعتونهم بالتشبه بالكافرين، ومن تشبه بقوم فهو منهم، فهل ما يلبسه الكفار حرام علينا لبسه، سوى الصليب للنصارى، والقبعة لليهود وما شابه ذلك من أمور دينهم؟

قال أبو محمد بن حزم : مسألة : والصلاة جائزة في ثوب الكافر والفاسق، ما لم يوقن فيها شيئا يجب اجتنابه؟ لقول الله تعالى : ﴿خلق لكم ما في الارض جميعا﴾.

وقد صح أن رسول الله ﷺ صلى في جبة رومية، ونحن على يقين من طهارة القطن، والكتان، والصوف، والشعر، والوبر، والجلود والحرير للنساء، وإباحة كل ذلك فمن ادعى نجاسة أو تحريما لم يُصَدَّقْ إلا بدليل من نص قرآن أو سنة صحيحة؟ قال تعالى : ﴿وقد فصل لكم ما حرم عليكم﴾ وقال تعالى : ﴿إن الظن لا يغني من الحق شيئا﴾.

فإن قيل : قد حرم رسول الله ﷺ آنيتهم إلا بعد غسلها، إن لم يوجد غير ها، قلنا : نعم، والآنية غير الثياب ﴿وما كان ربك نسيا﴾ ولو أراد الله تحريم ثيابهم لبين ذلك على لسان رسوله ﷺ كما فعل بالآنية؟

والعجب أن المانع من الصلاة في ثيابهم يبيح آنيتهم لغير ضرورة!! وهذا عكس الحقائق!.

وإباحة الصلاة في ثياب المشركين هو قول سفيان الثوري وداود بن علي، وبه نقول!(2).

ولما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية استعار ثوبا من نصراني فلبسه حتى خاطوا له قميصه وغسلوه، وتوضأ من جرة نصراني، وصلى سلمان، وأبو الدرداء في بيت نصرانية فقال لها أبو الدرداء : هل في بيتك مكان طاهر فنصلي فيه؟ فقالت : طهرا قلوبكما ثم صليا أين أحببتما؟ فقال له سلمان : خذها من غير فقيه(3).

وسئل مالك عن لباس البرانس أتكرههما، فإنها من لباس النصارى؟ قال : لا بأس بها وقد كانت تلبس ها هنا(4).

أما لباس الكفار الذي ورد في بعض النصوص فأريد أن ألفت نظرك أخي المسلم إلى ما جاء في فهوم العلماء لمعناه، للخروج من ظلمة الوهم والتباس الفهم بنور العلم.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال رأى رسول الله ﷺ علي ثوبين معصفرين فقال : «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها»(رواه مسلم).

وفي رواية عند مسلم أيضا قال : رأى النبي ﷺ علي ثوبين معصرفين فقال : أأمك أمرتك بهذا؟ قلت : أغْسِلُهُما، قال : بل احرقهما».

والثوب المعصفر هو المصبوغ بعصفر، وهو نبات يصبغ به الثوب فيتعصفر، أي يصير أصفر خالص.

قال الإمام النووي : واختلف العلماء في الثياب المعصفرة، فأباحها جمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وبه قال الشافعي وأبو حنيفة ومالك لكنه قال :

تتمة: ص15

منزلة الإنابة(*) (1)

د. فريد الأنصاري رحمه الله تعالى

منزلة الإنابة، من ألطف المنازل وأرفعها وأجملها عند الله عز وجل، إنها منزلة ذات لُطف كأنها ذات خفاء لدقة معناها ورِفعة شجاها ونورية بهاها الذي جعله الله سبحانه وتعالى لها، إذ يدخلها العبدُ ويتذوق روحَها ويتذوق معناها، فلا يستطيع بعد ذلك أن يفارقها حتى يلقى الله عز وجل.

ما معنى الإنابة وما علاقتها بالتوبة؟

قال الله عز وجل ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ﴾ (غافر: 13)، فالإنابة من أَنَاب يُنيبُ، أي رجع يَرجِع، أناب فلانٌ إلى المنزل، رجع بعد خروج أو بعد سفر فهو منيب أي راجع، ولذلك فلها علاقة بالأَوْبَة وبالتوبة، ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: 30)، الأَوْبَة أي العَودة والتوبة، إلا أن بينها وبين التوبة عُموماً وخُصُوصا، فالإنابة نوع من أنواع التوبة وليست هي إياها على الإطلاق، لأن التوبة قد تكون من ذنب، وقد تكون لأول مرة، وقد تكون بطيئة، وقد تكون سريعة،...

فالتائب مُعتذرٌ إلى ربه عن ذنبه، التائب مؤمن أو مسلم اعتذر لربه عن ذنبه، وأقلع عنه، وبدأ حياة جديدة، هذا هو التائب على العموم ، أما الإِنَابَةُ فهي أخصُّ من ذلك، الإنابة رجوعٌ إلى الله عز وجل، فيه صفتان؛

الصفة الأولى : السرعة، يعني يُسرِع في العودة، ولا بُطء في الإنابة، ثم فيها أيضا محبَّة وشوق وحياء، فالمؤمن حينما يَذْكُر أنه شرد عن الله قليلاً، (شَرَد أي بعُد عن الله)، في موطن من المواطن أو فعل من الأفعال، فإنه يتذكر حُبَّه لله وحبّ الله له، فيشعر حينئذ بالخجل حياء مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»(صحيح البخاري)، فالعبد إذ يحب ربه ويجد نفسه قد شرُد عنه قليلا، يستحيي من فعله ومن شروده فيعود إليه، حينئذ يُحسُّ بشوق شديد يدفعه إلى موطنه الذي كان فيه فيكون منيباً، لأنه لما قلنا في اللغة "مُنيب" هي راجع، لكن إذا جاء إنسان للمسجد لأول مرة في حياته، لا يقال له رجع، لأنه لم يكن هنا، بل جاء الآن فقط ويقال رجع للذي كان هنا وخرج وعاد، فالمُنيب يكون في الأصل عابداً لله مُحبّاً له قريباً منه، ثم يزِلُّ أو يشرُد أو يَفتُرُ في سيره وَيَضْعُفُ عن عبادته، ثم يتذكر أحواله الخضراء السابقة التي كانت بينه وبين ربه، يتذكر هذه الأحوال ويشتاق إليها ويأسف، يتأسّف لأنه ضيع ذلك الجمال الذي كان عنده مع الله عز وجل في العبادة.

الإنابة فعل الصالحين، داود عليه السلام نموذجاً

ولذلك قال أحد الصالحين مُتأسِّفاً على أيام كان يعبد الله فيها بجمال فقال "وا أسفاه على أيام البداية" أو قال "وا شوقاه إلى أيام البداية"، يقصد بداية أيام عبادته، لأن العادة أن الإنسان حينما يبدأ العبادة يبدأها بشوق وبلهَف وبمحبة، ويُكثر منها، لأنه كان محروما منها قبل، فيجد لذة وراحة، ثم بعد ذلك قد يُصاب بفتور فيجد نفسه بعدما فترت مشتاقا إلى إحياء تلك الليالي التعبدية وإحياء تلك الأيام التي كانت أيام صلاح وتقوى وفلاح، فحينما يعود مرة أخرى إلى ربه يعود ليذوق ما يعرفه، لا ليذوق ما يجهله، راجع يحمله الشوق لشيء سبق أن تذوقه، وأكثر الشوق صدقا، هو ذلك الشوق الذي يأتيك لشيء سبق تذوقه في الأمور العامّة، أمور الطعام والشراب وأمور النِّعم وأمور العبادات أيضاً، فتسمى هذه إنابة، ولذلك إنما يوصف بالإنابة عباد الله الصالحين، وعلى رأسهم الأنبياء ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ (هود: 75)، أوَّاه، قال العلماء في التفاسير : "كثير التأوه"، والتأوه يعني عبارة "آه" يتأسف، فكان يأسى على ما عليه أمر الناس من كُفر وضلال، حليم، يعني يعطف على الناس، ويرأف عليهم، ويتأسف على ضلال الناس، فكان يحمل همّ الناس بشكل كبير، حليم أوَّاه منيب كثير العَوْد والأوب إلى الله ليجدد الذوق والجمال الذي كان يجده في طاعة الله عز وجل، وكذلك وصف الله عز وجل عبده داوود ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ. إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالاشْرَاقِ. وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: 17- 19)، هذه الصيغة ذكرتها من الآية لوصف الحال التي كان عليها دَاوُد عليه السلام، ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأيْدِ﴾(ص: 17) "الأيد" جمع يَد، وهي كناية في العربية عن القوة، فكان داود عليه السلام قوياً، قوياً بتقوية الله له طبعا بالمعنَيَين، قوي في العبادة، لحديث النبي ﷺ : «خير الصيام صيام داود، كان يصوم يوما ويفطر يوما»، وكان أيضا يقوم نصف الليل، فكانت له قوة في العبادة، ما شاء الله، ثم أيضا كان قوي البِنيَة، لأنه كان حَدّاداً، ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾(سبأ: 10)، وكان يصنع دروع، المقاتلين في الزمن السابق، فكانت له قوَّتان؛ قوة بدنية، وقوة معنوية، وسخَّر الله له الجبال ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ (ص: 18) وهذه حقيقة وليست مجازاً، فداود عليه السلام كان يُسبِّح ربَّه بالعشي والإشراق، بالآصال، الآصال جمع أصيل، وهي اللحظة التي تبرد فيها الشمس بين العصر والمغرب، الوقت الذي يسميه العامَّة : "نص عاصر التالي"، الوقت ما بين العصر إلى المغرب قسموه إلى اثنين، النصف الأول يكون ساخنا، والنصف الثاني تكون الشمس فيه ذهبية باردة، ذاك هو الأصيل، في ذلك الوقت كان داود يجلس للتسبيح والتهليل والذكر، وأيضا بالإشراق مع شروق الشمس وبُعيد الشروق، بالغدو والآصال، بالعَشي والإشراق، وفي هذه اللحظات بالخصوص الله عزّ وجلّ سخّر الجبال تعيد تسبيحته، ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾، تُجمع الطيور عنده، تأتيه من كل فجٍّ عميق وتجلس بين يديه تذكر الله بذكره، وتردد ذكرَه الجبال كذلك بأمر الله، كما قال في القرآن الكريم في آية أخرى ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ (سبأ: 10)، الله عز وجل أعطى الأمر للجبال وللطيور أن تُؤَوِّب، تُؤوِّب يعني : تَذكُر اللهَ عز وجل بمعاني الأَوْبَة، يعني أن الإنسان المشتاق يرجع لله عز وجل، للصلاح والفلاح، فكانت الجبال وكانت الطيور في منظر عجيب، وهذه من معجزات داود عليه السلام الذي كان أوَّاباً، من معجزاته اللطيفة العجيبة، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام استُفتيَ في قضية من القضايا، معروفة ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ (ص: 23) الآية، فأفتى فيها بما أفتى، ثم تذكَّر أن هذه فتنة، وأنه اختبار من الله عز وجل له، فظن أنه أخطأ في طريقة الحُكم، قال بعض المفسرين : هو أفتى دون أن يستمع للآخر، لأن القاضي يسمع من الاثنين، والشاهد عندنا هو إحساس داود عليه السلام، ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾ (ص: 24)، فاستغفر ربه، خطر بباله وظنَّ أن ما وقع له فتنة، وأنه أذنب وضاعت منه حاله الجميلة التي كانت عنده قبل من تسبيح تُسبِّح به الجبال والطير، وخاف من ضياع مكانته ومن الحال المُشرق من الجمال التعبدي، فأسرع -هذا الدليل على الإسراع- مشى يجري بتوبة مسرعة، باستغفار مسرع يملأه الشوق إلى حاله ويملأه الخوف أن يضيع منه ما كان له، ﴿فاستغفر ربه وخرّ راكعاً وأناب﴾، التعبير القرآني الرباني عجيب، ﴿فخرّ﴾، في هذا السياق وليس في غيره، في هذا السياق تدل على كمال الخضوع لله عز وجل، "خَرَّ البناء أو خَرَّ السقف من القواعد، يعني تهدم بكليته"، فإذن ركوع داود وخضوعه كأنه بناء قد تهدم، فيه سرعة وفيه شوق شديد، ﴿فَخَرَّ راكعاً وأناب﴾، هذه هي الإنابة، فهي فعل الصالحين الذين ذاقوا طعم الإيمان قبل، الذين ذاقوا حلاوة الصلاح والفلاح والتقوى قبل، والذي سبق له أن ذاق يكون فعلاً فيه شوق يرجع.

الإنابة :
خاتمة الجمال، وتاج الكمال في عبادة الله عز وجل،
الإنابة : شيء جميل جدا وعجيب جدا أنَّ الإنسان يسلك إلى ربه بقلب منيب، فتوبته ليست كأي توبة، ليست تلك التوبة البطيئة، اليوم، غدا، بعد غد، أو يأتي العبادة أو الذكر بكسل، بل هي توبة يملأها الفرح، ويملأها الشوق، ويملأها الأسى والأسف على ما ضاع منه من جمال العبادة التي كانت له، يتأسف على اللحظات التي ضيّع فيها ذلك القُرْب من الله عز وجل، فعودته هي عودة المشتاق، عودة الذي ذاق ما ذاق قبل، فيعود إلى ما يعرف لا إلى ما لا يعرف

الإنابة خاتمة الجمال وتاج الكمال

الذي ذاق الحلاوة يرجع إليها بسرعة، فهؤلاء ذاقوا حلاوة أخرى، ليست حلاوة أرضية، بل حلاوة روحانية ربانية كمالية نورانية، ولذلك فلا يجد المؤمن نفسه إلا راغبا في الإنابة إلى الله عز وجل ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ (ص: 25)، الله عز وجل غفر له ذلك الذي ظنه في نفسه، ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (ص: 25)، "الزُّلْفَى" الجنّة الرفيعة العالية، و"حسن المآب" الخيرات التي تنتظره في الآخرة، ولذلك قال عز وجل في الزُّلْفى وفي الإنابة نفسها في سياق آخر في سورة ق ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ (ق: 31)، "أُزْلِفَتْ" هُيِّئَتْ بجمالها وكمالها هَدِيَّة وعطيَّة من رب العالمين، ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ. هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ (ق: 31- 32)، "أوَّاب" يرجع ﴿حَفِيظٍ من خَشِي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب﴾، الإنابة : خاتمة الجمال، وتاج الكمال في عبادة الله عز وجل، الإنابة : شيء جميل جدا وعجيب جدا أنَّ الإنسان يسلك إلى ربه بقلب منيب، فتوبته ليست كأي توبة، ليست تلك التوبة البطيئة، اليوم، غدا، بعد غد، أو يأتي العبادة أو الذكر بكسل، بل هي توبة يملأها الفرح، ويملأها الشوق، ويملأها الأسى والأسف على ما ضاع منه من جمال العبادة التي كانت له، يتأسف على اللحظات التي ضيّع فيها ذلك القُرْب من الله عز وجل، فعودته هي عودة المشتاق، عودة الذي ذاق ما ذاق قبل، فيعود إلى ما يعرف لا إلى ما لا يعرف، وهذا هو العارف بالله حقيقة، العِرفان بالله والمعرفة بالله هي هذه، معرفة الأنبياء والمرسلين والصالحين والصديقين من هذه الأُمَّة، فهذا الجمال العجيب الذي في الإنابة يحتاج المؤمن إلى تعلمه لتثبيت سيره إلى الله عز وجل لأنه من أضمن وسائل التثبيت، التي تجعلك دائماً في طريق الله تعالى تتعلم كيف تُنيبُ إلى ربك، كيف تكتسب قلباً منيبا، حتى تلتحق بالصالحين، حتى يكون فيك وصف من أوصاف الأنبياء والصديقين، كما وصف الله إبراهيم وداود عليهما السلام وغيرهما من النبيئين والصديقين، وهي منزلة متاحة لكل الناس، الأنبياء هم في أعلى درجاتها، ونبينا محمد ﷺ أول المُنيبين طبعاً وسيدهم، ما في ذلك شك، ولكن الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم بهذه الأمة أعطاها إمكانات وجمالات وكمالات ممكنة لكل من تصدُقُ نيته في قلبه ويجتهد لنوال ذلك،﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ اوْ الْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: 37)، قبل هذا إنما تَحدَّثَ الله عز وجل عن الإنابة ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ. وَالارْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ (ق: 6- 7) هذا خطاب عامّ وعجيب، ﴿لكل عبد﴾، كلّ شيء مشروط، وهذا دال على أنها منزلة متاحة للناس أجمعين، ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾، فالمؤمن منيب ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ﴾ (غافر: 13).

(*) منزلة الإنابة من حلقات منازل الإيمان التي ألقيت بمسجد الجامع الأعظم بمكناس وهي مادة مسجلة على شريط سمعي .

أعدها للنشر : عبد الحميد الرازي

دوامة الأنانية

ذ. محمد فتح الله كولن

إن أمانة الأنانية المنعمة على الإنسان هدية مقدسة معطاة له لكي يبحث عن الحقيقة الكبرى ويجدها... هدية يجب ضربها بالأرض وكسرها حالما تنتهي وظيفتها، وإلاّ كبرت وتضخمت وانقلبت إلى عفريت يبلع صاحبه.

يدرك الفرد بها خالقه جل وعلا، ويدرك قدرته وعلمه وإرادته اللامحدودة، وكونه بريئا من كل نقص، ثم يقوم بإذابتها في لهب معرفة الله وحب الله الملتهب في صدره، فلا ينظر ويرى إلاّ بالله... به يفكر،وبه يعرف ويصل به إلى المعرفة... وبه يتنفس أنفاس الحق.

البقاء أنانياً ليس إلاّ تعبيراً عن رؤية الحق دون إدراكه وفهمه، وعدم قطع أي مسافة في طريق اللانهاية، بل البقاء في المكان نفسه معصوب العينين. والذين يفكرون دائماً وأبداً في نطاق الأنانية، ويقومون ويجلسون بها، ويبحثون ما يبحثون عنه في إطارها لن يتقدموا خطوة واحدة إلى الأمام وإن مشوا سنوات وسنوات وقطعوا الفيافي والقفار.

الأعمال المنفذة حتى وإن كانت أشق الأعمال وأكثرها إرهاقاً إن عملت من أجل الأنانية لم تعد فضيلة على الإطلاق، ولم تحز على القبول الإلهي. والذين يعجزون عن تجاوز أنفسهم، ولم يمزقوا أنانيتهم والمحرومون من البصيرة... حبطت أعمال هؤلاء... وحرموا من كل شيء، حتى أن كل أعمالهم وتضحياتهم تذهب هباء منثورا.

لما كانت الأنانية صفة شيطانية، فإن مصير المنخدعين بها هو مصير الشيطان نفسه دون شك. بل إن دفاع الشيطان ومعذرته لم تكن إلاّ نغمة أنانية. فالنبي آدم عليه السلام عندما هفا هفوة، أطلق دموع الندم والتوبة ورجع إلى الله واستغفره، بينما نرى في كل كلمة من كلمات اعتذار إبليس عناداً وغروراً وعدم احترام وعدم توقير.

قد تنشأ الأنانية من العلم، أو من الثروة والسلطة، أو تنبع من الذكاء، أو تتضخم بالجمال... وهناك أنواع أخرى. ولما كان الإنسان لا دخل له في إيجاد هذه الصفات، لذا فأي ادعاء أو دعوى تكون وسيلة لغصب حق صاحب الملك الحقيقي وجلب لسخطه، وتؤدي في النهاية إلى هلاك أرواح هؤلاء المغرورين.

عندما تنضم الأنانية الفردية والشخصية إلى أنانية جماعة نراها تتضخم وتأخذ شكلاً عدوانياً. وتبدأ هذه الأنانية المتوحشة بتحويل كل شيء -حتى الأمور الخيرة- إلى غيوم سوداء تقوم بإمطار كل ما عرفه البشر من شرور.

أجل! فالعلم يكون في يد هؤلاء ضياء كاذباً ووسيلة للثروة والغرور والمظاهر، والقلب جحراً للأفاعي والحيات، والجمال فتنة للآخرين وضرراً، والذكاء وسيلة للضحك على الذقون.

الفلسفة كانت ولا تزال تمثل الأنانية، والنبوة تمثل الحق والتواضع. طريق الفلسفة حافل بالشكوى والشبه والخداع والشدة والغضب، وصدامات عنيفة كصدامات جبال الثلج وتفتتها، بينما نجد النور في طريق النبوة وانشراح القلوب ونجدة الملهوف والتساند والتعاون.

الرغبة في عرض النفس للآخرين والتحدث على الدوام عنها ناتجة عن عقدة الشعور بالنقص. ويستمر هذا الوضع عند هؤلاء حتى تلقيهم دروساً جيدة في تربية النفس والروح يصلون بها إلى فداء وجودهم لصاحب الملك الحق. كل أمر من أمورهم تفوح منه رائحة الأنانية وحب المظاهر. وكل مظهر من مظاهر تواضعهم إما خداع ورياء، أو محاولة لكسب الآخرين... سحقاً وألف سحق للأنانيين أعداء الحق!..

مدينة فاس تحتضن :

المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه في موضوع :

جهود الأمة في خدمة القرءان الكريم وعلومه

تنظم مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) ومعهد الدراسات المصطلحية، وبتعاون مع الرابطة المحمدية للعلماء المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه في موضوع: "**جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه**" أيام 11- 12- 13 جمادى الأول 1432 هـ الموافق 14- 15- 16 أبريل 2011 م بمركب الحرية بفاس المغرب

وقد جاء في ديباجة الإعلان عن هذا المؤتمر الدولي الهام ما يلي :

إن الأمة اليوم، بعد قرون من المعاناة بما كسبت أيديها، وبعد قرن أو يزيد من المخاض العسير، هي على أبواب ولادة جديدة، ينفعل بها ولها الزمان والمكان والإنسان، ولادة العودة الفاعلة في التاريخ برشد، إنقاذا للإنسان من شر الإنسان، ولن يكون ذلك، يوم يكون، إلا في إبانه، وبحقه، ومن أهله. وهنيئا هنيئا لمن كان من أهله.

وفي التحضير لذلك الغد الزاهر، يحتاج جيل أو أجيال التحضير إلى تقديم حصيلة الأمة في مختلف المجالات عبر التاريخ، واستخلاص ما حقه البقاء، وعليه يكون بعد البناء، من كسب الأمة وإسهامها في التاريخ. وعلى رأس ذلك لا شك خدمتها لكتاب ربها الذي به لا بسواه دخلت التاريخ، وبه لا بسواه، يوم تتوب توبة منهاجية نصوحا، ستعود إلى التاريخ.

إن استخلاص خلاصة كسب الأمة فيما مضى، وتقديمه محررا لأجيال البناء، هو بمثابة الإعداد الصحيح للمنطلق الصحيح لكل اتجاهات البناء. وإنها لخدمة أي خدمة من أجيال التحضير لأجيال البناء، أن يعدوا الخلاصات في مختلف أصناف العلوم: الشرعية والإنسانية والمادية، لما كسبته الأمة خلال أربعة عشر قرنا؛ فيختصروا الطريق، ويمهدوا السبيل، لوصل ما أمر الله به أن يوصل.

وعسى أن يكون في هذا المؤتمر الافتتاحي المخصص لرصد "جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه" ما يوضح بعض معالم السير.

أما من حيث الأهداف التي يتوخى هذا المؤتمر تحقيقها فتتلخص في :

1- تبيّن خلاصة جهود الأمة في مختلف ميادين خدمة القرآن الكريم وعلومه.

2-تأسيس أرضية للانطلاق إلى مختلف آفاق الخدمة في المستقبل.

3- إتاحة الفرصة للباحثين في المجال، كي يتعارفوا، ويتفاهموا، ويتكاملوا.

وسعيا نحو تحقيق هذه الأهداف حدد برنامج المؤتمر محاوره في استعراض جهود الأمة وتقويمها في المحاور التالية:

● المحور الأول: جهود الأمة في حفظ القرآن الكريم

× في رسم القرآن الكريم
× في تجويد القرآن الكريم
× في قراءات القرآن الكريم
× في تحفيظ القرآن الكريم

● المحور الثاني:جهود الأمة في تيسير القرآن الكريم

× في فهرسة القرآن الكريم
× في طباعة القرآن الكريم
× في تسجيل القرآن الكريم
× في ترجمة القرآن الكريم

● المحور الثالث: جهود الأمة في تفسير القرآن الكريم

× في غريب القرآن الكريم
× في مصطلحات القرآن الكريم
× في معاني القرآن الكريم
× في أصول تفسير القرآن الكريم

● المحور الرابع: جهود الأمة في بيان إعجاز القرآن الكريم

× الإعجاز البياني
× الإعجاز التشريعي
× الإعجاز العلمي في العلوم المادية
× الإعجاز العلمي في العلوم الإنسانية

● المحور الخامس: جهود الأمة في استنباط الهدى من القرآن الكريم

× في سنن القرآن الكريم
× في أحكام القرآن الكريم
× في قواعد القرآن الكريم
× في مقاصد القرآن الكريم

روى الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ألا إنها ستكون فتنة، فقلت ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم».

إصدارات

صدر للعلامة الدكتور محمد التاويل كتاب بعنوان : لا ذكورية في الفقه عن مطبعة آنفو-برانت بفاس.

والكتاب الذي صدر في 89 صفحة يشتمل على تمهيد ومقدمة ومبحثين :

المبحث الأول : تصدي للرد على دعوى ذكورية الفقه وإبطالها نظريا وواقعيا.

وأما الثاني : فاهتم ببيان حكم الفقه وأسراره في القضايا التي فرق فيها بين الرجل والمرأة.

تعزية

والد السيد عمر داود في ذمة الله

تلقينا بأسى عميق خبر وفاة والد أخينا الأستاذ عمر داود وذلك يوم الاثنين 16 ربيع الثاني 1432هـ الموافق لـ 2011/3/21.

وبهذه المناسبة الأليمة تتقدم المحجة إلى الأخ عمر بأحر التعازي سائلين المولى عز وجل أن يشمل الفقيد برحمته وعفوه ويسكنه فسيح جنانه، وينزل على ذويه وأبنائه السكينة والصبر والسلوان.

و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

الجمالية في الإسلام وتجلياتها

د. محمد الحفظاوي(1)
hafdawi@hotmail.com

مفهوم الجمال في الإسلام أوسع وأرحب من الصور والمشاهد المادية و الطبيعية، إنه جواب سؤال الخلق بما هو تفاعل الإنسان مع نفسه ومع الله ومع الكون؛ بواسطة ممارسة أخلاقية ذات أصل ديني.

وهذا مايميز التصور الإسلامي الحضاري عن حضارة الغرب التي تجرد العمل عن الأخلاق فنتج عن هذه الحالة أزمة في القصد تتجلى في تعلق الإرادة بالإنسان عوض الله، وأزمة في الحكمة نتجت عن تجريد العلم عن الأخلاق فاستعملت النعم في إنتاج النقم، فأضحت المتعة النفسية هي تحقيق اللذة بكل أشكالها الطبيعية والشاذة بما أمكن من الوسائل أيا كانت هذه الوسائل.

وأسس الجمال وضوابطه في التصور الإسلامي تنبني على ثلاثة أركان: قصد تعبدي، وحكمة شرعية، ومتعة نفسية(2). وهذه الضوابط تشكل الموازين التفسيرية لكل مظاهر الجمال ولكل ممارسة جمالية، لذلك سنرتكز عليها في تحليلنا لمفهوم الجمال في الكون والمجتمع والفرد.

من معاني الجمال في الإسلام:

يقول القرطبي:"الجمال يكون في الصورة وتركيب الخلقة، ويكون في الأخلاق الباطنة، ويكون في الأفعال. فأما جمال الخلقة فهو أمر يدركه البصر ويلقيه إلى القلب متلائما، فتتعلق به النفس من غير معرفة بوجه ذلك ...وأما جمال الأخلاق فكونها على الصفات المحمودة من العلم والحكمة والعدل والعفة، وكظم الغيظ، وإرادة الخير لكل أحد. وأما جمال الأفعال فهو وجودها ملائمة لمصالح الخلق وقاضية لجلب المنافع فيهم وصرف الشر عنهم"(3). إذن فالجمال في الاسلام ذو مفهوم شمولي عام، فهو بهذا التعريف يوجد في القلب والقالب، في الظاهر والباطن، في القلب والمعاملة، في الخِلقة والخُلق وفي الأفعال.

1- جمال الخِلقة:

الإسلام بمفهومه الشامل تستغرق مفاهيمه الحضارية كل جوانب حياة الانسان في أبعادها الدنيوية/والأخروية، والمادية/والروحية، والعقلية/والعاطفية، بشكل متوازن لا طغيان لجانب على آخر.

■ **ومن الجمال الذي اعتبره الشرع جمال الإنسان؛** مثل جمال الأنبياء، وجمال النساء، عن أنس ابن مالك قال: "كان رسول الله ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، حسن الجسم"(4). ومما جاء في وصفه أنه كان "يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر"(5). فانظر كيف خلق الباري نبيه المصطفى على هيئة جميلة لأنه حامل الجمال القرآني والهدي الرباني فكيف لا يكون الوعاء جميلا!

وانظر عندما انبهر النسوة في قصة يوسف فقطعن أيدهن لشدة انبهارهن بجمال يوسف عليه السلام: ﴿فلمارأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم﴾(يوسف:31)!

إن في هذا الجمال البشري النبوي متعة للناس وتأليفاً لهم، فالوسامة تجذب الناس إليها وتحبب صاحبها إليهم، والحكمة الشرعية في ذلك الحسن إرادة الله لعبده أن خلقه في أحسن تقويم ليشكر ربه ويعبده، من ههنا يلزم المسلم أن يكون قصده تعبديا فيما آتاه الله من فضل، كاستثمار هذا الجمال الظاهري في الدعوة إلى الله وجذب عباد الله إلى دين الله، وليس إلى الدنيا وزينتها وملذاتها، ولن يحصل للعبد التوفيق في هذا الاتجاه، إلا بتجميله للباطن الذي هو محل تكليفه الاختياري، أما الأول فقد جمله الباري ابتداء منًّا منه وفضلا.

■ **ومن الجمال الإنساني جمال النساء؛** فعن أبي هريرة قال:كنت عند النبيفأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، فقال له رسول الله أنظرت إليها؟ قال:لا! قال:فاذهب فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئا"(6)، في هذا الحديث دلالة على جمال النساء، وفيه دلالة على جواز النظر إلى وجه من يريد المسلم تزوجها، لأنه يستدل بالوجه على الجمال. لأن في نظر الرجل لزوجته متعة نفسية تفضي للحكمة الشرعية وهي تحقق السكينة والمودة والرحمة.

والقصد التعبدي هو إعفاف النفس بتصريف الشهوة في موضع طيب حلال. لذلك روي عن رسول الله قوله لعمر بن الخطاب: "ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة: إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته"(7). فالمرأة الصالحة معناه الجميلة ظاهرا وباطنا، وهي خير من الكنز،لأنها أنفع له إذا نظر إليها أدخلت عليه الفرح والسرور بجمال صورتها وحسن سيرتها وحصول حفظ الدين بها. وبطاعتها له، وحفظها لأسرار العشرة وحفظها للمال ورعاية الأولاد.

■ **ومن جمال الخلقة جمال الحيوان** الذي خلقه الله للإنسان على وجه الخدمة والتسخير؛ قال تعالى: ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون. ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون. وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الانفس إن ربكم لرؤوف رحيم﴾(النحل:5- 7). "يمتن الله على عباده بما خلق لهم من الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم، ومما جعل لهم فيها من المصالح والمنافع، من أصوافها وأوبارها وأشعارها يلبسون ويفترشون، ومن ألبانها يشربون، ويأكلون من أولادها، وما لهم فيها من الجمال وهو الزينة، ولهذا قال: "ولكم فيها جمال حين تريحون" وهو وقت رجوعها عشيا من المرعى، فإنها تكون أمده خواصر، وأعظمه ضروعا، وأعلاه أسنمة "وحين تسرحون" أي: غدوة حين تبعثونها إلى المرعى"(8). والقرآن هنا ينبه على الحكمة من خلق الحيوان وهي تحقيق المتعة النفسية للإنسان والمنفعة أيضا ففي الحالة الأولى تجد مثلا أن من أسعد أوقات الفلاح أو المكتسب للحيوانات لحظات يستريح فيها ويسر بالنظر في ثروته الحيوانية وهي ترعى في مرعى خصيب، أو تأكل مما جناه لها من الزرع والعشب الأخضر في إسطبل بالغابة أو بجوار البيت! وهذا من الاستمتاع الذي يثيره جمال صورة الحيوان الذي خلقه الله فأحسن خلقه، فتبارك الله أحسن الخالقين!

وفي الحالة الثانية منافع التغذية واللباس وحمل الأثقال والركوب التي جعل الله الحيوان مسخرا لها لأجل الانسان الدائر في فلك العبادة لله تعالى، مستعملا هذه المخلوقات في سيره إلى الله، تفكرا وشكرا واستمتاعا حلالا، وزكاة وحجا وجهادا.

2- جمال الخُلق:

من جماليات الدين الإسلامي غناه بالأخلاق السامية، بل إننا لا نجانب الصواب بقولنا إن الإسلام خلق جميل؛ كالشجرة الباسقة فيها من الثمار الطيبة الشيء الكثير بل فيها كل ثمر طيب جميل، والأصل واحد وثابت.

أو لم يكن خلق الرسول ﷺ القرآن الكريم وهو الأصل المصدري للإسلام؟! فهذا صبر جميل، وذاك صفح جميل وهكذا دواليك. ذلك أن "التدين إنما هو تمثل قيم الجمال، والتزين بأنوارها في السلوك والوجدان"(9). فلا يصدر عن مسلم قبح في التعبير أو قبح في السلوك. فلنقصر الكلام هنا عن خلقين جميلين من أخلاق الإسلام: الصبر الجميل والصفح الجميل.

■ **الصبر الجميل:** ورد في القرآن الكريم وصف خلق الصبر بالجمال على لسان نبي الله يعقوب عليه السلام: ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾(يوسف:18)." أي: فسأصبر صبرا جميلا على هذا الأمر الذي اتفقتم عليه، حتى يفرجه الله بعونه ولطفه... وقال مجاهد: الصبر الجميل: الذي لا جزع فيه. وذكر البخاري هاهنا حديث عائشة في الإفك حتى ذكر قولها: والله لا أجد لي ولكم مثلا إلا قول يعقوب أبي يوسف عليهما السلام : "فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون"(10). ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم﴾(يوسف:83).

إن جمالية الصبر في اجتهاد العبد المؤمن في تحمل الهموم والأزمات إلى درجة لا يستشعر معها الناس حاله، ممتثلا أمر ربه ﴿فاصبر صبرا جميلا﴾(المعارج:5)، فيتوجه بعمق مشاعره وهو المكلوم المجروح إلى الله تعالى شاكيا ضارعا مناجيا ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾(يوسف : 86).

إنه توجه يشمل مقومات الجمال الثلاثة المتعة النفسية الروحية، والتعبد بالدعاء الخالص، لأجل حكم ومنافع منها مايعلمه العبد ويقصده، ومنها ما لا يعلمه إلا الله عز وجل.

■ **الصفح الجميل:** وهو الخلق المذكور في قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل﴾(الحجر:85). "أخبر -سبحانه- نبيه بقيام الساعة، وإنها كائنة لا محالة، ثم أمره بالصفح الجميل عن المشركين، في أذاهم وتكذيبهم ماجاءهم به، كما قال تعالى ﴿فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون﴾(الزخرف:89)"(11).

قال ابن عاشور: "والصفح: العفو... وهو مستعمل هنا في لازمه وهو عدم الحزن والغضب من صنيع أعداء الدين... والجميل: الحسن. والمراد الصفح الكامل"(12).

إنه صفح لله، لصالح الرسالة، عندما يُظمس الداعية في شخصه، أو عندما لا يستجيب له الناس فيهجرونه ويصرفون الناس عنه، فلا يخوض ضدهم صراعا انفعاليا؛ بل يصرف مشاعره في الاتجاه الإيجابي الذي أراده الله وهو بناء الذات وبناء الأتباع؛ لتقوية شوكة الإسلام وتنمية عدد وعدة المسلمين الرساليين، إنها حركة جميلة لا تبتغي ولا تنشد سوى نشر الجمال الإلهي في الكون برغم الأشواك والعقبات. من هنا يأتي فعل الهجر للأعداء لكيلا يستنزف المومنون جهودهم في ردود الأفعال العقيمة، فكان إذن خلق وفعل الهجر الجميل.

3- جمال الفعل:

■ **الهجر الجميل:** اقرأ قوله سبحانه: ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا﴾(المزمل:10) "يقول تعالى آمرا رسوله بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه، وأن يهجرهم هجرا جميلا، وهو الذي لا عتاب معه"(13).

أما البناء الداخلي للأمة فلابد من المسارعة لاستئصال الفتن الداخلية، والمبادرة لنزع فتيل الصراعات والعداوات البينية بالحلول السلمية، يقول الله تعالى: ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مومنين﴾(الأنفال:1). "أي: اتقوا الله في أموركم، وأصلحوا فيما بينكم ولا تظالموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا، فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه"(14).

فالأصل في الحياة الاجتماعية ربط العلاقات الإيجابية مع الناس من خلال قيم التعاون والبر والتناصر، والسعي للحفاظ على هذه الحالة الإيجابية بالتدخل لدفع ودرء أسباب الشقاق والعدوان، وإصلاح ما فسد بين الإخوان. فإن استعصى الحل بالأسلوب السلمي قد يقتضي الحال الهجر، أو إجراءات أخرى قاسية مثل الطلاق، وهو الذي سماه القرآن بالسراح الجميل.

4- الله جميل يحب الجمال :

فاسع لتكون جميلا، ولتكن رسالتك نشر الجمال في الكون:

عن عبد الله بن مسعود عن النبي قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا. قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر:بطرالحق وغمط الناس»(15).

فالله سبحانه جميل له الجمال المطلق :جمال الذات وجمال الصفات وجمال الأفعال، ويحب تجمل العبد المؤمن في الهيأة واللباس، والعفاف عن الناس، من باب ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ (الضحى:11)، بلا مبالغة ولا غرور ولاتكبر. ففي الحديث عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله «إن الله جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ويبغض البؤس والتباؤس»(16). وفي الحديث: «إن الله جميل يحب الجمال، ويحب معالي الأمور ويكره سفسافها»(17).

فالله سبحانه وتعالى حسن جميل، له الأسماء الحسنى، وكل صفات الجمال والكمال، ومنه ينبعث الجمال، وتدبيره لخلقه كله جمال. وذكرت معالي الأمور في سياق الجمال، وسفسافها بهذا ضدها أي من القبائح المكروهة والأمور الرديئة والحقيرة والأخلاق الفاسدة غير اللائقة بالمسلم.

طريق محبة الله واضح، فإن أردت أن يحبك الله فاشتغل بهدف نبيل ولتكن لك رسالة في هذا الوجود، وركز على عمل صالح ينفعك وينفع الأمة.

ولكي تعطي لأدائك العملي امتدادا وروحا وحياة؛ تخلق بخلق الله الجميل، فالمتحلي بقيمة الجمال الإلهية يستمد الجمالية من ذاك النبع الصافي من الله الحي الباقي، مما يعطي لجمالية المسلم الواعي بهذه القيمة عمقا ورسوخا، وقوة ودواما لا نهاية له، لأنه مرتبط بالجمال الإلهي الباقي وببقائه سيدخل العبد إلى جنة الخلد حيث الخلود الأبدي.

---

1 -باحث مغربي في الفقه ومقاصد الشريعة.
2 -قال فريد الأنصاري:"الجمالية في الاسلام تقوم على أركان ثلاثة، هي:الحكمة والمتعة والعبادة،باجتماعهما جميعا في وعي الإنسان ووجدانه يتكامل المفهوم الكلي للجمالية في الاسلام."جمالية الدين الصفحة52.
3 -الجامع لأحكام القرآن:9/70،71.
4 -الشمائل المحمدية للترمذي،تحقيق سيد بن عباس الجميلي:29.
5 - الشمائل المحمدية للترمذي،تحقيق سيد بن عباس الجميلي:35.
6 -أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب النكاح،باب ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها.الحديث:2552.
7 -رواه أبوداود في سننه،كتاب الزكاة،باب في حقوق المال، الحديث رقم:1664.
8 - عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير للشيخ أحمد شاكر:2/328.
9 -جمالية الدين للدكتور فريد الأنصاري:21.
10 - عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير للشيخ أحمد شاكر:2/252.
11 -عمدة التفسير:2/323.
12 -التحريروالتنوير:7/77.
13 -عمدة النفسير:3/526.
14 -عمدة التفسير:2/86.
15 -رواه مسلم في صحيحه،كتاب الإيمان،باب تحريم الكبر وبيانه:حديث رقم167.
16 -أخرجه الألباني في صحيح الجامع وقال حديث صحيح.
17 -أخرجه الطبراني عن سهل بن سعد.

مفهوم التواصل في الإسلام

ذ. عبد الرحمن بوعلي

الإسلام في حقيقته صلةٌ تواصليةٌ أبديةٌ مُنهجةٌ بين الخالق عز وجل وخلقه في هذا الكون، صلةٌ تواصلية بين المُبدع الأول وما أَبدع من أرض وسماء وما بينهما.

وما الوحي الإلهي إلا زيادة صلة مميزة بين المولى عز وجل ومَن أعزهم من خلقه في الأرض آدميا كان أو كائنا ما كان صلةٌ انعتاق للآدمي من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام...

وقد اعتبر الإسلام صلة المؤمن بأخيه المؤمن عبادة محضة يجازى عليها، وينال من ربه الدرجات العليا، فسُمي التواصل في الإسلام بصلة الرحم في معناه الإلزامي التعبدي فقال سبحانه : ﴿...والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل...﴾ وقال : ﴿...وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾.

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : **الرحم حُجنَة(1) متمسكة بالعرش تَكَلم بلسان ذلق(2) اللهم صلْ من وَصَلني واقطع من قطعني فيقول الله تبارك وتعالى أنا الرحمن الرحيم وإني شققت للرحم من اسمي فمن وصلها وصَلته ومن بتكها(3) بتكته**"(4).

والتواصل بالمعنى الاختياري التعبدي له موقعه الشرعي المتميز لا يقل درجة عن الأول، تكشف ذلك سنةُ المصطفى ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال : يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال : يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي»**(5).

وصَفَ المولى عز وجل ذاته العلية بما يوصف به الآدمي من أجل فهم المراد، ومن أجل إدراك المغزى الحقيقي من التواصل وعظمته عند الله عز وجل فقال سبحانه في هذاالحديث القدسي : **«مرضتُ فلم تعدني...»**.

إن عيادة المريض عمل جليل في ديننا الحنيف، عمل يرفع درجة المؤمن إلى مستوى الحضرة الإلهية، والمقام الرباني اللذين تتضمنهما نسبة المرض إلى الذات العلية، ثم تصور عيادتها.

ثم إن هذا الحديث يكشف للمؤمن علو مرتبة المريض المحتَسب عند الله عز وجل وما أعد له من جزيل الثواب.

وفي قوله عز وجل **«لوجدتني عنده...»** إشارة صريحة إلى موقع هذا الفعل من ديننا الحنيف عيادة المريض أينما وُجد، ومهما كان مرضه، ومن يعلم أنه يجد الله بعنايته وحضرته في موضع ما فإنه لا يتردد في إتيانه بكل ما أوتي من عزم وحزم وإرادة وإخلاص.

وليس التواصل في مجرد زيارة للمريض بل إنه في أساليب متفاوتة المقام في ميزان شرعنا ومعايير ديننا الحنيف، ولذلك انتقل بنا الحديث إلى صور أخرى من صور الصلة والتواصل الفعليين فقال المولى عز وجل : «...استطعمتك... استسقيتك...» إشارة منه سبحانه إلى الإحسان للعباد وما ينتظر صاحبه من جزيل الثواب، وخاصة إذا كان يهدف قضاء حوائج الناس وقد سئل النبي ﷺ : **«أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال : أحب الناس إلى الله أحسنهم للناس وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على قلب مؤمن»(6).**

كما يكشف الحديث موقع التواصل ومكانته في الإسلام بحيث دعا إلى صلة المريض وإن كان مريضا ولو على فراش الموت، إنها دعوة إلى التلاحم والتآزر بين المسلمين فُرادى وجماعات..

تجسيدا لقول المصطفى ﷺ : **«المؤمن للمؤمن كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».**

ومهما تحقق التواصل بين العباد خالصا لله تعالى كان في مقابله من الله تعالى وصل بالجميل وجزيل الثواب، بل إن الله تعالى يجري للعبد الواصل أهله وأحبته وصلا في السماء والأرض.

فقد روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ **أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال أين تريد؟ قال أريد أخا لي في هذه القرية، قال هل لك عليه من نعمة تربها؟(7) قال لا، غير أني أحبه في الله، قال فإني رسول الله إليك إن الله قد أحبك كما أحببته فيه»**(8).

المحبة في الله تعالى تواصل من طراز آخر لا يمكن حصوله من كل الناس، لا لشيء إلا لأنه لله خالصٌ، ولوجهه قائمٌ، ولأنه تواصل بين القلوب وتجاوب بين الأحاسيس والوجدان تحقيقا وتجسيدا للإيمان الصادق **«لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».**

والمحبة في الله تعالى ليست مما يمكن تصنعُه ولا اكتسابه بطريق المحاباة أو غيرها لأن الأمر يتطلب تنقيةَ الضمير من الشكوك والأمراض الناتجة عنها، وكذا تطهيرَ القلب من شوائب الحقد والحسد والبغض تجاه عباد الله، ومن تَحصل ذلك كان بإمكانه أن يدعي محبة الآخرين في الله ولله.

ومعنى ذلك أن المؤمن ينبغي أن يكون مَخبره تُجاه العباد كمضمَره، وأن يعتقد حسن الظن بالناس دَوما لأنهم على الأقل وعلى أصح تقدير بُنيانُ الله عز وجل، وآية من آيات وجوده تعالى وعظمته سبحانه، ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾.

وسر العبادات المفروضة في الإسلام ما هو إلا تحقيقٌ للتواصل بين الخالق والمخلوق في أبهى صوره.

فكل صلاة من الصلوات الخمس مثلا نداء تواصلي عملي إلى تجديد العهد بين العبد وربه، كماأنه تجديد للنظر والمصافحة بين المؤمنين أنفسهم خمس مرات على الأقل بين اليوم والليلة، نظر بين الإخوة ينتهي عند التصاق قدم بقدم ومنكب بمنكب في وجهة واحدة وبخطاب واحد وحركات بدنية واحدة، ونبضات قلوب خاشعة... ليلهم في ذلك كنهارهم ذكورهم وإناثهم...

والصلوات الخمس تهيء الجماعة القليلة للتواصل بجماعة أكبر في كل جمعة مرة في كل أسبوع لترقى هذه الصلة إلى مشهد أكبر وأوسع مرتين في العام وذلك يومي العيدين حيث يحصل التواصل في صورة من التجمع أكبر مما هو مشاهد خلال العام.

وفي الصيام تواصل من نوع آخر تجسده ظاهرة الإحسان المتزايدة عبر أيام رمضان المعظم، كما أن الشارع الحكيم أوجب على من انتهك حرمة الصيام بالإفطار عمدا أن يقوم بتحرير عبد كفارةً لما وقع فيه من ذنب، ولايخفى ما في هذه الكفارة من صلة وتواصل عظيمين، وبفضل العتق هذا أزال الإسلام ظاهرة الرق في مجتمع هذه الأمة.

وفي موسم الحج أيضا يجد المؤمن نفسه في مشهد أشبه وأقرب ما يكون إلى مشهد يوم القيامة ولو مرة في العمر، في هيئة ومكان الحضور مما ينبئ بقرب الختام والرحيل، كما ينبئ بدنو هذه الدنيا ومتعلقاتها.

1- جاء في لسان العرب لابن منظور : حُجْنة كحُجْبَة المِغْزل أي صنّارته المُعْوَجّة في رأسه التي يُعلق بها الخيطُ بفتل للغَزْل.

2- ولِسانٌ طَلِقٌ ذَلِقٌ،وطَلِيقٌ ذَليقٌ، وطُلُقٌ ذُلُقٌ، بضمتين، القاموس المحيط للفيروزابادي 2/487، مادة " طلق ".

3- البَتُّك قطع الشيء من أصله بَتَكه يَبْتكُه ويَبْتُكه بَتْكاً أي قطعه وبَتَّكه فانْبَتك وتَبَتَّك والبِتْكةُ والبَتْكة القطعة منه والجمع بِتَكٌ " المصدر نفسه 10/390 ".

4- رواه البزار بإسناد حسن وقال الألباني في كتابه : صحيح الترغيب والترهيب 2/338 : حديث حسن لغيره، رقم الحديث 2531

5- رواه مسلم وصححه الألباني في مشكاة المصابيح 1/345 رقم الحديث 1528.

6- صحيح الترغيب والترهيب للألباني 2/359 الحديث برقم 2623، قال عنه الألباني : "حديث حسن لغيره".

7- الَك نعْمَةٌ تربُّها : أي تَحْفَظُها وتُراعيها وتُرَبِّيها كما يُرَبِّي الرجل وَلَده،لسان العرب لابن منظور 1 / 399 مادة "ربب". وفي النهاية في غريب الأثر لابن الأثير الجزري نفس المعنى 1 / 227.

8- والحديث في صحيح الترغيب والترهيب للألباني 3/91 برقم 3017.

المسالك الإجرائية لاستمرار التربية النبوية للأمة الإسلامية

ذ. طارق زوكاغ

مسالك تحقيق التربية النبوية للمسلمين مترابطة ومتكاملة فيما بينها، ومجموعها يمكن أن يُحقق المعية المعنوية للرسول ﷺ بالنسبة للمسلم الذي يسلكها، وهي كالآتي :

أولا : محبة(1) الرسول ﷺ :

الكلام عن "المحبة النبوية" هنا ليس مُجرَّد دعوى، ولا تَصْدُقُ على صاحبها بمجرد النطق بها؛ بل نتحدث عنها باعتبارها عقيدة كاملة لها أسباب تُنتجها، ومقتضيات تلزمها، فمن أسباب تمتين محبة الرسول ﷺ في النفس المؤمنة :

- معرفة قدره ومنزلته عند الله، وأثره العظيم في هداية الناس، وسمو أخلاقه.
- كثرة ذكره والصلاة عليه ﷺ، والدعاء الدائم بقبول شفاعته في المسلمين وبالاجتماع معه عليه السلام بالحوض يوم الدين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾(الأحزاب :56).
- تعظيمه و توقيره ﷺ و تذكر مكانته عند الله تعالى وفضله على الناس، وذكره بما يليق به من الأوصاف عليه السلام ؛ قال سبحانه: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾(النور : 63).

أما العلامات والمقتضيات التي تبرهن على حصول محبة الرسول ﷺ؛ فمنها :

- أن يلحظ المسلم في نفسه أنه يُحيي السنة النبوية؛ فهو القائل ﷺ : «من أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة»(2)؛
- أن يجد المسلم في نفسه رغبة دائمة في الاطلاع على أخباره وقراءة سيرته ﷺ، والشوق إلى لقائه حسب ما هو معلوم في قانون المحبة.

ثانيا : تعلم السنة النبوية والعمل بها وتبليغها :

الرسول ﷺ هو النموذج الأمثل للإنسان الذي استخلفه الله سبحانه في الأرض، وبه أظهر للمسلمين التجسيد العملي لأحكام القرآن من غير إفراط ولا تفريط، لذلك جاء الأمر صريحا بالتأسي به عليه السلام؛ قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾(الأحزاب : 21)، ومُنْطَلَق هذا التأسي أمور ثلاثة:

1- القراءة المستمرة لأحد المتون الجامعة للسنة النبوية الصحيحة(3)، والكتاب الذي جمع وأوعى في هذا الباب هو "رياض الصالحين" للنووي رحمه الله.

2- تدبر أقوال وأفعال الرسول ﷺ، والسعي الدائم والدءوب للعمل بها واتباع هداها؛ لأنها المقياس الذي أمرنا بأن نَزِنُ به أعمالنا، وهي الوسيلة التي نمارس بها النقد والتمحيص لتصرفاتنا؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(آل عمران : 31).

3- الحرص على تعليمها وتبليغها : لقول الرسول ﷺ : «بلغوا عني ولو آية» لأن تبليغها هو تبليغ للدين وتكثير من المحبين له ﷺ، وتكثير للداخلين في رحمته وليبدأ المسلم بتعليم سنة رسول الله ﷺ لأبناءه وأسرته وكل من مكنه الله من ولايته وأمانته من الصحب والجيران.

وإنّ هذه الأمور -لعمر الحق- تجعل المسلمين لا يشعرون بأنهم عن نبيهم ﷺ غائبون، وما أجمل البيت الشِّعري الذي وَصَفَ المشتغلين بعلم الحديث النبوي الشريف والمُشغُولين به :

أهل الحديث هم أهل النّبي وإن
لم يصحبوا نفسه، أنفاسه صحبوا

ثالثا: ملازمة العلماء الربانيين:

منزلة العلماء الربانيين في الأمة بمنزلة الأطباء، وهم ورثة الأنبياء(4)، ولا تسمع منهم سوى (قال الله؛ قال رسول الله)، كما أن رؤيتهم تُذكر بالله، ولا تُبصرُ في تعاملهم إلا التطبيق لما جاء في القرآن والسنة؛ حتى اعْتُبِرَ تقليد الناس لهم نوعاً من الاهتداء بأفعالهم، قال الشاطبي:"إذا كان كذلك و ثبت للمفتي أنه قائم مقام النبي ونائب منابه لزم من ذلك أن أفعاله محلٌ للاقتداء أيضا"(5). لذلك وَجَبَ علينا التواصل معهم والحضور لمجالسهم.

وخاتمة الكلام، أيها الأخ الكريم؛ يجب علينا أن نسلك الطريق المستقيم، وننهل من ذلك المصدر المعين الذي يحقق لنا الصحبة المعنوية للرسول ﷺ، والذي يُفعِّلُ فينا عملية التربية والتزكية على يديه عليه السلام، عسى أن تمتلئ قلوبنا بمَحَبَّتِه مَحَبَّةً حقيقية؛ فنَصْحَبَهُ صُحْبَةً أبدية، كما قال خير البرية ﷺ : «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(6).

1- هذه تفصيلات بسيطة في محبة الرسول ﷺ ومن أراد التوسع فلينظر كتاب "الشفا في التعريف بحقوق المصطفى" للقاضي عياض رحمه الله.

2- هذا جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، رقم (2678)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

3- يجب الحذر من الاعتماد على الأحاديث الضعيفة؛ لأن الإتباع لا يقوم على أساس الشك، كما ينبغي التحذير من بعض الأحاديث الواهية أو الموضوعة الموجودة في كتب الرقائق خاصة التي لم تحقق تحقيقا علميا محكما.

4- عن أبي الدرداء أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر". رواه أبو داود والترمذي.

5- "الموافقات" للإمام الشاطبي بتحقيق عبد الله دراز(ج : 4، ص: 248)

6- أخرجه الترمذي في سننه، حديث 3484، (كتاب الدعوات، باب " في فضل التوبة والاستغفار وما ذُكر من رحمة الله لعباده).

الدبابة والصندوق والشارع..!

د. الطيب الوزاني

أولا– في مقولة الدبابة:

كانت الدبابة رمز القوة في القرن العشرين، ورمز الاكتساح والغزو والمحو، ورمز التفوق العسكري، قبل أن يظهر سلاح الجو، وشكلت واحدة من أهم أنواع السلاح الحربي ذات المفعول السريع في حسم الحروب البرية، ولما ظهرت الدبابة وتطورت آلياتها كما وكيفا تغير شكل الحروب، وانقلبت موازين القوى لصالح من يملك الدبابة. وتحتفظ ذاكرة الإنسان والشعوب في القرن العشرين بصور عديدة للدبابة وهي تمحو الحدود الجغرافية وتغير خرائط العالم، أو تقلب أنظمة وتغير زعامات وتصنع ثقافات، لا زالت ذاكرة القرن العشرين حافلة بمشاهد رهيبة للدبابة بأفواهها النارية تصنع أحداث التغيير من الخارج ومن الداخل ، على أبواب الحدود أو على أسوار القصور، وما تحركت الدبابة في الشارع إلا وأخرصت كل لسان ناطق وعلا صوتها فوق كل صوت بشكل ساحق، وما دخلت مدينة إلا وخلت شوارعها من سكانها وسقط حكامها وخرب عمرانها.

وفي بلداننا العربية تتأثث ذاكرتنا بصور ومشاهد للدبابة المتوحشة سواء تلك التي دخل عليها المستعمر ينتهك بها العرض ويقضي على الحرث والنسل، ويسلب خيرات البلدان ويتوسع في احتلال الأراضي، أم تلك التي استعملها أبناء الوطن في وجوه بعضهم البعض لمحو كل أشكال التفاهم والتآخي والتراضي، فأحدثت هذه الممحاة العملاقة تغييرات عدت في زمنها ثورات عربية !! ثورات قادتها القلة المدببة وطلتها بصبغة الجماهير المعلية وإن كانت قد وجهت ضد إرادة الجماهير كلما تعارضت مع الحكام إمعانا في إتقان لعبة التزييف والتزوير، وبعد مضي الزمن انقشع للكثير أن راكبي هذه الدبابات وصانعي الثورات هم مصنوعون مثل دباباتهم، ولم تكن الدبابة تسمح أن تحمل على ظهرها إلا من صنع في نفس البلاد التي صنعت فيها هذه الدبابة: بلاد الدببة(جمع دب) أو بلاد أشياع الدببة !! فكانت ثورات الدبابة وانقلابات أشياع الدببة تعكس نوعا من التبعية والضعف الذي ولد في أصحابها كل أنواع الديكتاتويات الوحشية التي غلفها أصحابها بأغلفة الديمقراطية وخداع الجماهير بالتغيير والحرية والاستقلال، فمارس الثوار كل أنواع التزييف والتغليف والتغليب والتعليب فتحولوا مع الزمن إلى أصنام تعبد، وفراعنة تُمدَح، وطويت هامات الشعب واختصرت وظيفتها في أن تركع وتسجد، وترقص على جروحها وجراحها أمام الجلاد وتَمدَح!!

وما إن استقر حال الثوار ولذ مقامهم حتى أدركوا خطر الدبابة عليهم، فمنهم من ظل يتفاخر بشراء أنواعها ويتظاهر بتقوية جيشه، ومنهم جيش جيوشه ودفعهم بعيدا عنه وصنع لهم ملهاة حربية على حدود الجيران، فإن كان بين الجيران أخوة اندلعت الحرب بقوة، وإن كانوا أعداء حقيقة شكلت ظاهرا جبهات الصمود والتحدي وباطنا عقدت صفقات الجمود والتردي، وها هنا تخلص الحكام من خطر الدبابة من وجوههم واستعاضوا عنها بالصندوق لإضفاء المشروعية وإخفاء آثار الجرائم الوحشية!!

ثانيا– في مقولة الصندوق

ظلت كلمة الصندوق في الخيال الإنساني رمزا للأسرار، ومستودع أموال التجار، ووسيلة يتنافس في كسبها الأبرار والفجار، وحيكت عنه حكايات عجاب ونسجت حوله روايات غراب كانت تسحر النفوس وتأخذ بالعقول والألباب، حتى اقترن الصندوق بوصف الغرائب والعجائب.

وقديما لم يكن أحد يملك الصندوق إلا "رجال البلاد"، وأولياؤها الذين يملكون أسرار التحكم في البلاد والعباد فيملكون ما يضعون في الصندوق، فكان الصندوق رمزا للملك، وملكا خاصا، وليس عموميا ولا جمهوريا، ويفقد قيمته حين يصير كذلك، ولذلك كان كل صندوق يحتوي كنزا إلا ويجعل عليه حراس غلاظ شداد حتى قيل "كل كنز عليه عفريت".

وفي عصرنا الحالي، تطور الصندوق بتطور عصرنا، وتغيرت أشكاله وأنواعه ووظائفه، وكلها أشكال وأنواع لها سرها الخفي في التحكم في مصير ومسار الأمم والشعوب والأفراد، فظهر صندوق النقد الدولي، وصندوق الأسرار النووية، وصندوق أسرار الدولة والصندوق الأسود للطائرة وصندوق الضمان الاجتماعي وصندوق الانتخابات... وكل صندوق له حراسه الخاصين المحدودين والمعدودين ولا يحق للعموم الكشف عنه وإذاعة ما به من الأسرار، التي لو كشفت لتغيرت موازين البلدان والأمصار.

ويهمني هنا الحديث عن صندوق الانتخابات حامل أسرار الدولة، ومستودع أسرار إرادات الأفراد والشعوب. هذا الصندوق وإن كان قد تطور من الصندوق الخشبي إلى الصندوق الزجاجي الشفاف الكشاف إلا أن "برق ما تقشع" هي القاسم المشترك بين الصندوقين!!

هذا الصندوق دخل أوطاننا مبشرا بعهد الديمقراطية والنزاهة والحريات العامة، فاستبشر الناس خيرا فصفقوا وهللوا ولم يدروا أن هذا الصندوق يملك مفتاحه ساحر ليس كالسحرة المعدودين عند أهل الفن، إن هذا الساحر القابع فوق الصندوق الانتخابي ساحر جمع بين قوة السحر وسحر القوة، فهو قادر على قلب معادلة الصندوق رغم أنف الرياضيات، وقادر على جعل الأموات يصوتون لصالحه كالأحياء لأن الناس عنده متساوون في الحقوق لا فرق بين أبيض ولا أسود، ولا بين أصفر وأحمر، ولا بين أنثى وذكر، ولا بين حي وميت قد قبر. وقادر على طمس عيون الشهود فلا يبصرون تحت قوة السحر، وإن أبصروا فيكتمون الشهادة ويخرصون تحت سحر القوة!! وهكذا صار الصندوق لا يعبر عن إرادة الشعوب بل عن إرادة حاكم الشعوب، ولا يبلغ رأيَ الناس إلى الحاكم بل يبلغ الناس برأي الحاكم!! وبدل أن يكون الصندوق جسرا ومعبرا لحرية التعبير وحسن التدبير وللتنمية والتعمير صار قبرا كبيرا لدفن مشاريع التغيير والتحرير!!

وصار هذا الصندوق في مخيلة الشعوب رمز الخداع، وعنوان النفاق السياسي، والكذب البواح، والتزوير والتزييف الصراح، حتى عزف الكثير عنه وزهدوا فيه، وامتنعوا من ائتمانه على أسرارهم وأصواتهم، وحسب الناس أن عصر الصندوق الانتخاب سينتهي بمجرد العزوف عنه وزُهد الناس فيه إلا أن الساحر الكبير المسلح بالسحر والقوة أبى إلا أن يظل حاكما ولو بأقل ما يعطيه الصندوق، و حينها فارت فورة الناس وثارت ثورتهم وتجمهروا في الشارع واقفين أو جالسين لا يبرحون مكانهم صارخين ليرحل الساحر القوي والوحيد من ديارنا ولترحل معه دباباته وصناديقه!!

ثالثا– في مقولة الشارع:

ارتبط الشارع في أذهان الناس تارة بأوصاف إيجابية فهو معَبْر لقضاء مآربهم ومكان للعمل والتلاقي والتزاور، وفضاء للتنزه وتنسم أنسام الحرية النقي بعيدا عن سجن البيت وأتعاب العمل، وتارة اقترن بأوصاف سلبية: وصف من يكثر المكوث به بأوصاف ذميمة: ابن الشارع ، أطفال الشوارع، اللهو واللغو ، الفراغ والمجون، التسول والتسكع.. وكان الوصف السيئ هو الأغلب.

غير أننا اليوم خلال شهور قليلة تغيرت نظرة الإنسان العربي وغير العربي إلى الشارع وأصبح هذا المكان مجلبة للفخر والافتخار ودفعا للذل والعار، ووسيلة للتحرر من تسيف الساحر البتار، وقهره الجبار، وصارت الشوارع ميادين للتحرير وانطلاق مشاريع التنمية والبناء والتعمير بعد أن عجز عنها كل من الدبابة والصندوق ومارسا كل أشكال الهدم والتدمير، بل صار محتل الشارع يُخضِع له الدبابةَ فتنقاد له وتحميه، وصار هو نفسه من يقرر شكل الصندوق ونوعه ويحدد قوانينه التي تسمح له بأداء وظيفته بعيدا عن سحر الكهان وقوة الطغيان.

فهل سينجح الشارع في الحفاظ على المبادئ السامية في السياسة الشرعية؟ وهل سينجح الشارع في صنع ما عجزت عنه الدبابة والصندوق؟ وهل سينجو الشارع من الاحتواء ويحافظ على استقلاله ونزاهته، ويحقق طموحات ساكنته؟

لا يملؤنا إلا الأمل.. ولا يقودنا إلا اليقين بأن نقول نعم، إذا لم ينحرف أو ينجرف!! وما لم يمتطه من هو على شاكلة من ركب الدبابة أو استغل الصندوق في الأمس القريب!!

ويحدونا الأمل القوي بأن نقول أيضا: نعم إذا تاب أصحاب القرار وأصلحوا الحال، وقرروا الشروع في الإصلاح في الحين، والقطع مع عهد الاستبداد والتخويف بالدبابة وكتم الأنفاس بالصندوق!!

مجرد رأي

وصايا من رحم الأحداث

...أتى علينا حين من الدهر اختلت فيه جميع الموازين، فاختلط الحابل بالنابل والصالح بالطالح، فتشابه البقر على البشر.

وأبرز ضحايا هذه الحالة هم فئة الشباب في هذه الأمة، فقد أصبحوا في حيرة من أمرهم تراهم في كل واد يهيمون فتشعبت أمامهم الأودية واختلطت عليهم المفاهيم واختل لديهم الميزان السليم لتقييم الأشياء تقييما سليما.

وفي غياب موجهين صادقين ناصحين يأخذون بأيديهم إلى بر الأمان فازداد طينهم بلّة واتخذوا قرناء سوء وأدعياء علم وسياسة، ومفسدين أئمة لهم يهدونهم سواء السبيل. فأضلوهم بعلم وعن سبق إصرار وترصد فضَلُّوا وأَضَلُّوا من خلفهم إلا ما رحم ربك وقليلم ما هم...

...مساهمة مني في إسداء بعض النصح لهؤلاء الحيارى اسمحوا لي باقتراح بعض التوجيهات الهامة التي أعطيت لنا عندما كنا في سن هؤلاء الشباب. فقد كنا في سبعينات القرن الماضي تتلاطمنا أمواج التيارات الفكرية والسياسية وكنا يومها نجد (معوانا) من أساتذتنا وزعماء الرأي المخلصين فينا. أما الآن فشبابنا لا يكاد يجد من يأخذ بيده ويُبصّره. لهذا أقدم فيما يلي هذه التوجيهات وأفوض أمري وأمركم إلى الله صاحب الأمر بدءاً وانتهاءاً :

1 - لا تفكر أبداً أن تنظم إلى أي تيار يساري لأن جل اليساريين انتهوا وزراء في حكومة التناوب، ومع طول الأمد نسوا مبادئهم ومعها نسوا قضية التناوب أصلا فالتصقوا بكراسي الاستوزار الوثيرة أو بكراسي الزعامة في أحزابهم والتي تحولت مع طول الأمد إلى ما يُشبه الدكاكين. ومن لم تستهوه الكراسي الوثيرة، انتهى مربياً للخيول في إحدى الضيعات الواسعة على طريقة "الرنج" الأمريكي و"الوسترت" الأمريكي ونمط الحياة الأمريكية التي كانوا يسبونها صباح مساء وقالوا فيها أكثر مما قاله مالك في الخمر.

2- لا تفكر أن تكون في الوسط لأن أهل الوسط عندنا استمرؤوا النفاق واللعب على الحبال السياسية واستبدال الولاءات كما يستبدل أحدنا جواربه كلما أزفت ساعة الانتخابات وما يتلوها من استحقاقات جماعية وقروية يسيل لها اللعاب وتُراق من أجلها الأموال والموائد العامرة وحتى الدماء وأشياء أخرى لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم بتزوير الانتخابات. فالنفاق والتسلق على الحبال صار لدى هؤلاء وغيرهم صبغة صبغوا بها بعدما كانت هواية ثم طبيعة سيئة ثم فطرة مقيتة.

3- لا تُراودنك فكرة الانضمام إلى تيار أصولي إسلامي حتى لا تُتّهم بحب الله (فيلقونك في الحبس ولن يَنْشر آيتك ناشر) بتهمة الإرهاب أو أشياء أخرى. وحتى لا تتحول إلى فزّاعة يُخوفون بك الغرب وإسرائيل أو يُساومون بجلدك كل هؤلاء حتى يُغمضوا أعينهم عن جَلدك والتنكيل بك مُقابل بقائهم على كراسيهم الوثيرة حسب معادلة مقيتة ابتدعوها كلما حزبهم أمر أو ضاقت بهم الأرض بما رحبت، ومفاد هذه المعادلة : إما **نحن الحكام أو هؤلاء المتطرفون اللئام**. وطبعا، فالغرب ومنظماته المشبوهة يُفضلون دائما الـ"أنا" على "هؤلاء" لأن هؤلاء أصدق قيلا فلا ينافقون ولا يُراؤون ولا يتملقون لأحد ويقفون حجرة عثرة أمام طموحاتهم الاستكبارية ونهمهم لاستنزاف ثروات البلاد والعباد.

4- لا تفكروا أبنائي وبناتي ا لشباب أن تكونوا رجالاً، وذلك لسببين، أولا، لأن الرجال الحقيقين قليلون هذه الأيام وبات وجودهم أقل ندرة من لبن الطيور.

أما السبب الثاني فهو حتى لا تضطر أن تقف في يوم من الأيام وخلفك امرأة تافهة توردك المهالك لتنتهي بك طريداً في سماء الله الواسعة قبل أن تجيرك النخوة العربية والإسلامية والتي طالما تنكرت لها واستهزأت بها...

وبعدما رفضت جميع العواصم الغربية استقبالك وقد كنت دائما تولي وجهك شطرها في صلواتك وخلواتك وكانت تفرش لك السجاد الأحمر وتثقل كاهلك بالنياشين والأوسمة وتنفخ فيك إشادة بمشاريعك الخلاقة وقد راتك الأسطورية على ضبط أنفاس شعبك القليل وضبط نبضات قلبه على ساعات البيك بان وباريس ونيويورك وغيرها...

5- أخيراً وليس آخراً أنصحك بألاّ تفكر مجرد التفكير في أن تكون يوما ما رئيساً أو زعيما عربيا مثخناً بالقومية العربية ونصرة فلسطين، حتى لا تنتهي يوما ما نيرون زمانه يحرق البلاد ويجلس على تلة استكباره وجبروته ينتشي برائحة شواء الأطفال والنساء والشيوخ من بني شعبه بعدما قتل أبناءهم ولم يستحي نساءهم كما فعل فرعون من قبل ببني إسرائيل...

ذ. عبد القادر لوكيلي

أوراق شاهدة

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

عن سريلانكا التي في القلب سأحكي

بيوت لصناعة "ثورات الهباء"

1- سيرة المحبين :

كان الوقت يمضي بنا سريعا ونحن ننتقل في مروج السالكين العميقين إلى الله تعالى دون كثير بهرجة ولا تنميق قول، أو ازدهاء بعمل.

كان هؤلاء السريلانكيون الأفذاذ مولعون حقا بالتزود من حدائق الثمار النبوية الوارفة، غير آبهين بصخب العابرين العاضين على الدنيا الفانية حواليهم من البوذيين والمسيحيين.

لقد كانت حياتهم مصطبغة في أدق تفاصيلها بلون العبودية لله عز وجل على طريق رسول الله ﷺ، لذلك حين اهتزت نفسيات السريلانكيين البوذيين والهنود والمسيحيين بفقدان ذويهم وممتلكاتهم إبان موجات تسونامي التي اجتاحت سريلانكا وأفضت بهم إلى الاستغراق في ذلك الحزن والوجوم العميق الذي يلفت انتباه الغرباء من أمثالنا، فقد ظل المسلمون السريلانكيون رغم شربهم من نفس كأس البلاء متشبثين بإيمانهم القوي، صابرين راضين بالامتحان الرباني العسير، منصرفين بهمة إلى أعمالهم اليومية، ولم يكن صعبا أن تقرأ في وجوههم تلك القدرة العجيبة على الشموخ في وجه العواصف، التي يضخها الدين في نفس الإنسان. كان في وجوههم صلابة معجونة بسمو روحاني يفيض عليهم هالة طيبوبة ووداعة آسرة، وهي الهالة التي انسابت دافقة ونحن نعلن لمضيفاتنا عن قرب رحيلنا، وقد تبقى في أجندة زيارتنا يومان سنمضيهما في بيت آخر قبل التوجه إلى مكة المكرمة لأداء العمرة.

2- دعاء.. دعاء.. ودائما دعاء :

كانت الأجواء في البيت ما قبل الأخير، مجللة بسحابة حزن مبين، غطت على محاولات أخواتنا السريلانكيات إسعادنا بكل ما استطعن من وسائل تكريم حيث أشعن بين جيرانهن ومعارفهن أننا راحلات فتوافدت النساء بكثرة وحملن معهن فيض عواطف إلى بيت مضيفينا ليقضين معنا لحظات رشف من "رحيق" كلامنا للدين قبل أن نرحل عنهن، رحيقا كما اعتبرنه طيلة مقامنا معهن.

وأمام دفعات عطائهن المبهر، كان المقابل الذي يطلبنه وسعين تلك الليلة بين كل حديث وحديث إلى الإلحاح علينا لنغدق عليهن منه هو: " الدعاء ".

شيء عجيب ولا يصدق، هذا اليقين المتين في الدعاء، والأعجب منه يقينهن أننا مستجابات الدعاء..شيء خارق هذا التطويق لنا ونحن نقدم عليهن، ثم ونحن نغادرهن لكي ندعو لهن في كل آن وحين.

كان شوقهن لمرافقتنا والسمر معنا يتلخص في اغتنام أية فرصة لجعلنا نرفع أيدينا، ونطلب الله عز وجل ليستجيب للائحة مطالبهن التي لا تتجاوز أبدا حقل القرب من الله تعالى والفلاح في اتباع سنة رسوله الكريم هن وأبنائهن وأزواجهن.

يا ألله..! حين أذكر أسمارنا، وهذا التهالك المخجل على اللهو وآلا ته ونجومه ومهرجاناته اللامحدودة، كأننا نملك يقينا تذكرة ذهاب إلى الجنة بالدرجة الأولى أشعر بالبون الشاسع بين سلوكنا وسلوكهم إلى الله عز وجل!!

وحين أذكر حذقنا في التشبث بأهداب الدنيا وتنافسنا عليها حتى أهلكتنا ورمت بنا مضغة سائغة للذئاب المتربصة مصداقا لتحذير رسول الله ﷺ منها، أدرك كيف سرت علينا السنن الكونية القاضية بإذلالنا وتسويغنا مطية لرفس من هب ودب، ونحن لا نستحضر الربانية إلا في صلواتنا المشوهة قلبا وقالبا وطقوس أخرى جوفاء وبلا روح.

نظراتهن العطشى لكلام الله عز وجل وحديث رسول الله ﷺ، تحلقهن حولنا، خفض الجناح لنا في كل حاجياتنا..كل ذلك يذكرني بقول الشيخ المغربي الجليل الذي حدثتك عنه قارئي في الحلقات الماضية :

(عندما ننفق الطاقات التي لدينا فيما يرضي الله عز وجل : الأولاد والأزواج والوقت والصناعة والتجارة والفلاحة وكل أصناف الكسب تتغير حياتنا وتأتي فينا صفات الصحابة رضي الله عنهم، صفات الطاعة والمحبة، وتصبح حياتنا هي الحياة المرضية، حياة الرسول ﷺ)..

حين أذكر ليلى الطرابلسي الجشعة أو زوجها "الفهمان بعد فوات الأوان" أو "جنرال جنرالات النياشين" حسني مبارك وكل حاشيته، وكل تلك الدهاليز أو البنوك التي احتجزوا فيها أرزاق العباد، و بكل ذلك النهم لتكديس المال والحلي النفيسة، ثم مسحة التعاسة التي صفدت وجوههم عند الرحيل بعيدا عن كراسي الحكم بما لم ينزل الله، أفهم السر في تلك النورانية التي تجلل وجوه أخواتنا السريلانكيات وهن بلا مال ولا جاه في بيوت جد بسيطة ويحسبها الناظر إليهن قصورا، إذ يملأنها بالذكر والشكر لله عز وجل عبادة ومعاملات.

وبعيدا عنهن حين أذكر كل عطش الشباب المتظاهرين بساحات "التحرير" على امتداد العالم العربي هذه الأيام، وهم يطالبون بإسقاط وجوه الفساد وإحلال وجوه " الصالحين" عوضها أشفق على كم العرق والدماء التي تهدر عبثا من طرف محتجين ينأون عن الطريق الرئيسية إلى السعادة، طريق الله عز وجل ويتخذون طرقا ثانوية أشبه بالمتاهات المتشعبة التي لا تفضي إلا إلى المزيد من الأحزان ومراكمة الجثث والأكفان، لأن الظلم لا وطن له وهو كالعشب الضار ينبت أينما تعملق حب الدنيا والعزوف عن الجهد للدين، وبالتالي إذا رحل مبارك أو شين العابدين أو القذافي نبتت على آثارهم من بين منتخبي الشعب وبكل ديمقراطية أعشاب الظلم من جديد، وإن برتوش حداثية، طالما ظلت القلوب بعيدة عن مصدر قوتها وعزتها وإن تعمدت بالشعارات تشي غيفارية الأكثر ثورية، وولجت المتاهات الأكثر وعدا بالسعادة.

متاهات اسمها الحق في الديمقراطية، والحق في السكن، والحق في العمل، والحق في الحرية، والحق في الصحة إلخ .. وقد انتحر مشاهير وأثرياء امتلكوا كل هذه المرغوبات وظلوا تائهين بعيدا عن مالك هذه المرغوبات الذي بيده الخير كله حتى أفضى بهم التيه إلى الموت الحرام.

مرغوبات قال في سمومها المغلفة بعسل النعمة الفاتنة المولى سبحانه: ﴿قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾.

3- بلطجة وبلطجة في غياب حلقات التعليم :

وبالعودة إلى أخواتنا السريلانكيات فإن سعيهن لجعل حياتهن مماثلة ما أمكن لحياة رسول الله ﷺ دفعهن لإ حاطتنا بسياج من الرعاية والمحبة لحثنا على المزيد من التنزيل لما في جعبتنا من كلام حول الدين وحول سيرة المصطفى، وقد تجلى هذا الحدب أكثر وهن يجهزن المائدة للعشاء فقد حرصن على تزيينها بلفيف من المأكولات في مصدرها الوحيد الأرز لإكرامنا.

ونحن ننهي وجبة راقية للعشاء لا في نوعية مأكولاتها بل في جودة القلوب الهادرة محبة التي أعدتها، انحنت أخت منهن على معصمي بكل حب ووضعت حوله سلسلة فضية ألحت أمام رفضي على أن أقبلها عربون محبة ووفاء.

ولأنهن شغوفات بخير القرون وسيده المجتبى كما فصلنا في ذلك، فلحظات قليلة بعد العشاء انخرطن في قراءة أحاديث رسول الله ﷺ.

وكانت بحق حلقة تعليم بكل طقوس الخشوع فيها، كأنهن لم يكن قبل قليل يدردشن ويخضن في شؤونهن النسائية وهن على مائدة العشاء.

ومرة أخرى أذكر كيف أنتجت بعض بيوتنا شبابا تحرريا حد رفض كل معتقد ديني كما حدث في بعض من تجليات تعابير شباب ميادين التحرير الذين رفعوا يافطة فصل الدين عن الدولة والتنزيل العاجل للعلمانية.

وأذكر بيوتا أخرى تفرض حالة طوارئ قصوى لدى قيام مباراة في كرة القدم، فلا حركة ولا سكون حتى تضع حرب الأقدام أوزارها، وما يقع في هذه الأيام من حرب كلامية بين الإخوة الأعداء مواكبة لتنظيم مباراة المغرب والجزائر يدفع المرء إلى الإحساس بالخوف على مصير شباب الأمة المدفوعة إلى هذه الفتن المتلاحقة.

ولا عجب في السياق إن رأينا ممتلكات عامة تنهب وتتلف، وشوارع تكسر إنارتها وتقلع لافتاتها ويسجل الحادث ضد من أسماهم قاموس الثورات بالبلطجية، ويشخص الداء على أنه خصاص في الخبز والمسكن والتطبيب والديمقراطية، ولم يقل أحد كما أسلفنا بأنه خصاص في استيعاب خارطة الطريق التي تسطر في بنودها النبوية الشريفة شروط القومة على المظالم وحق الطريق والممتلكات والأرواح إبان هذه "القومات الملغومة".

قال رسول الله ﷺ : «لا يحل لمسلم أن يروع مسلما»(رواه أحمد).

وقال رسول الله ﷺ : «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعها وإن كان أخاه لأبيه وأمه»(رواه مسلم).

وهي البنود التي تسري في عروق الطفل بالخلية الأولى من خلال حلقة التعليم التي يقيمها الأبوان مع أبنائهم ويقرؤون فيها سورا قرآنية و أحاديث شريفة كتلك التي ذكرنا..

وحين أذكر بيوتنا وحرص الكثيرين فينا على جعل " الصالونات" كالمنطقة الخضراء بالعراق لا يقربها إلا الخواص، فهي أشبه بفسحات حداد مستديم لا يقطعه إلا الضيوف العابرون في حين يزين السريلانكيون بيوتهم لذكر الله وسنة رسوله، ينتابني الإحساس بأن أمن أمتنا وسلاحها الأنجع للتغلب على مؤامرات حكومة العالم الخفية لتفتيت الجسم العربي ينطلق من بيوتنا ومن حلقات التعليم التي يحتفي بها السريلانكيون أيما احتفاء، فكان من نتائج هذا التعظيم، صمودهم وهم القلة في محيطات من المعتقدات الشركية تمتد على طول وعرض الجزيرة السريلانكية.إذ أطعمهم الله من جوع آمنهم من خوف.

وحين سننتقل إلى البيت الأخير في جولتنا هذه السريلانكية الخالدة سترون معي إخوتي القراء كيف يتشبث السريلانكيون المسلمون بدينهم حقا، فنصرهم الله في موطن قلة و ذلة في الوقت الذي يذلنا فيه الله في موطن قوة وعزة. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

آيبون... تائبون!

ذة. نبيلة عزوزي

17- لوّامة... مطمئنة؟!

«أنت أحمق،.. المصاريف كثيرة.. الغلاء كالنار في الهشيم.. طلبات أسرتك لا تنتهي... عليك أن تدلّل صغارك.. أن تتمتّع وتمتعهم... أنت حر، إن أردت أن تمارس الحرمان على نفسك، لكن لا يعقل أبداً أن تمارس الحرمان على صغارك، فما ذنبهم؟! وما ذنب زوجتك؟! إن كنت فعلا تحبها، فلا تجعلها تشعر بالنقص في الملبس والمأكل ومتع الحياة...!».

توسوس له نفسه أحيانا كثيرة.. ويوسوس له أكثر زملاؤه وشركاؤه في "الغنائم" أو الرشاوى بصريح العبارة، والتي تسمى جزافاً بالهدايا! قيل له :

- ما تلك سوى "هدايا"... أو لنسمها "قهوة"!

- إنها رشوة.. إذا استقلت من عملي هذا، وجلست في بيتي، هل سأتلقى تلك الهدايا؟

- هذه عقد أصابتك... عليك بطبيب نفساني... تحرم نفسك من المال... فكم ستعيش؟!

ردد :

- كم سأعيش؟! لابد أن ألقى الله، سيسألني عن مالي، فبم سأجيب؟!

غرد وحيداً خارج السرب، فطاردته البنادق.. مورس عليه ضغط نفسي في عمله.. صار أضحوكة.. حيكَتْ ضده قضايا... حُمِّل مالا طاقَة له به.. فالزبانية كالطوفان... إما أن تكون معنا أو ضدنا...!

لكنه اعتصم بالله عز وجل، تسلح بالجلَد والدعاء... لم يضعف، ولم يكترث...

حيكَتْ حوله قضية اختلاس، كادَت تلقي به في السجن، لكن، سبحان الله، انقلب الكيد على الكائدين.. مكروا، ومكر الله، والله خير الماكرين...!

توصل القضاء بعد جولة كبيرة أثناء المحاكمة، أن ثمة تضارب بين الأدلة، وبَيْن شهود الزور... ليكتشف عدة قضايا اختلاس أبطالها أعداؤه الذين قدموه للعدالة..!

جمع أسرته الصغيرة عند بداية الامتحان، أخبرها بتوبته من الرشوة والمال الحرام... ذكّرها بوعيد الله ورسوله ﷺ... لم يكن سهلاً عليه ولا على الأسرة في البداية التأقلم مع الوضع الجديد... لكن الله عز وجل جعل له البركة في راتبه، وفي أبنائه أيضاً.. والأجمل من ذلك، أنه منحه الإحساس بالرضا والقناعة، والطمأنينة العميقة التي لا تنال ولو بكل أموال الدنيا!

نافذة على التراث

إعداد : الدكتور عبد الرحيم الرحموني

مـن آداب الـعـالـم

دوام مراقبة الله تعالى في السر والعلانية، والمحافظة على خوفه في جميع حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله، فإنه أمين على ما أودع من العلوم، وما منح من الحواس والفهوم. قال الله تعالى: ﴿لا تخونَوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾. وقال تعالى: ﴿بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشونِ﴾.

قال الشافعي: ليس العلم ما حفظ، العلم ما نفع، وعليه بدوام السكينة والوقار والخشوع والورع والتواضع والخضوع.

ومما كتب مالك إلى الرشيد: إذا علمت علماً فلْيُرَ عليك أثره، وسكينته وسمته، ووقاره، وحلمه. لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: العلماء ورثة الأنبياء.

وقال عمر: تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والوقار وعن أبي هريرة مرفوعاً: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة. وتواضعوا لمن تعلمون منه. رواه الطبراني في الأوسط. وعن السلف رحمهم الله: حق على العالم أن يتواضع لله، في سره وعلانيته ويحترس من نفسه ويقف عما أشكل عليه.

● آداب العلماء والمتعلمين للحسين بن منصور اليمني

بلاغة إياس في طفولته

دخل إياس الشّامَ وهو غلامٌ، فتقدَّمَ خصماً له - وكان الخَصم شيخاً كبيراً- إلى بعض قُضاة عبد الملك بن مَرْوان، فقال له القاضي: أَتَقْدُم شيخاً كبيراً؟ قال: الحقُّ أكبر منه. قال: اسكتْ. قال: فمن ينطقُ حُجَّتي؟ قال: لا أظنُّك تقولُ حقّاً حتَّى تقوم. قال: لا إله إلاّ اللَّه! أحقّاً هذا أم باطلا؟ فقامَ القاضي فدخل على عبد الملك من ساعته، فخبَّرَه بالخَبر، فقال عبد الملك: اقْضِ حاجتَه السَّاعةَ وأخرِجْه من الشامِ، لا يُفْسدْ عليَّ الناس.

● البيان والتبين للجاحظ

أفي حاجة لي أم لك؟

كان أبوه محمَّد بنُ حفصٍ التّيْمي عظيمَ الشأن، كثير العلم، أتاه بعضهم في حلْقته في المسجد، فقال له في بعض كلامه: أبو مَنْ أصلحَكَ اللَّه؟ فقال له: هَلاّ عَرفْتَ هذا قبل مجيئك؟ وإنْ كان لا بدَّ لك منه فاعترِضْ مَن شئت فَسَلْه! فقال له: إنِّي أريد أن تخلِيَني. قال: أفي حاجة لك أم في حاجة لي؟ قال: بل في حاجةٍ لي. قال: فالقَنِي في المنزل قال: فإنّ الحاجة لك. قال: ما دونَ إخواني سِتر.

● البيان والتبين للجاحظ

من آداب المتعلم في درسه

أن يبتدئ أولا بكتاب الله العزيز فيتقنه حفظاً ويجتهد على إتقان تفسيره وسائر علومه، فإنه أصل العلوم وأمها وأهمها. ثم يحفظ في كل فن مختصراً، يجمع فيه بين طرفيه من الفقه والحديث وعلومه والأصولين والنحو والتصريف ولا يشتغل بذلك كله عن دراسة القرآن وتعهده وملازمة ورد منه كل يوم أو أيام أو جمعة. وليحذر من نسيانه بعد حفظه، فقد ورد حديث يزجر عنه، ويشتغل بشرح تلك المحفوظات على المشايخ، وليحذر من الاعتماد في ذلك على الكتب ابتداء، بل يعتمد في كل فن ما هو احسن تعليماً له، واكثر تحقيقاً فيه، وتحصيلاً منه، واخبرهم بالكتاب الذي قراه، وذلك بعد مراعاة الصفات المتقدمة من الدين، والصلاح والشفقة وغيرها، فإن كان شيخه لا يجد من قرابته على غيره، فلا بأس بذلك، وإلا راعى قلب شيخه، إن كان أرجاهم نفعاً، لأنه أنفع له وأجمع لقلبه عليه، وليأخذ من الحفظ ما يمكنه ويطيقه حاله، من غير إكثار يمل ولا تقصير يخل بجودة التحصيل.

● آداب العلماء والمتعلمين للحسين بن منصور اليمني

من آداب المتعلم في نفسه

الأول: أن يطهر قلبه من كل غش، ودنس، وغل، وحسد، وسوء عقيدة وخلق، ليصلح بذلك لقبول العلم وحفظه والاطلاع على دقائق معانيه وحقائق غوامضه، فإن العلم كما قال بعضهم: صلاة السر، وعبادة القلب، وقربة الباطن، فكما لا تصح الصلاة التي هي عبادة الجوارح الظاهرة إلا بطهارة الظاهر من الحدث والخبث، فكذلك لا يصح العلم الذي هو عبادة القلب إلا بطهارته عن خبث الصفات وحدث مساوئ الأخلاق ورديها. وقالوا: يطيب القلب للعلم كما تطيب الأرض للزرع، فإذا طيب العلم ظهرت بركته، ونما كما ينمو زرعها، ويزكو إذا طيبت.

وفي الحديث أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب وقال سهل: "حرام على قلب أن يدخله نور وفيه شيء مما يكره الله عز وجل".

الثاني: حسن النية في طلب العلم بأن يقصد به وجه الله عز وجل والعمل به، وإحياء الشريعة، وتنوير قلبه، وتحلية باطنه، والقرب من الله تعالى يوم لقائه، والتعرض لما أعد لأهله من رضوانه، وعظم فضله، قال سفيان الثوري: ما عالجت شيئاً أشد من نيتي، ولا يقصد به أغراض الدنيوية من تحصيل الرياسة، والجاه، والمال، ومباهاة الأقران وتعظيم الناس له، وتصديره في المجالس، ونحو ذلك فليستبدل الأدنى بالذي هو خير.

والعلم عبادة من العبادات وقربة من القرب، فإن خلصت فيه النية قبل وزكا ونمت بركته، وإن قصد به غير وجه الله حبط وضاع وخسرت صفقته، وربما كان ذلك سبباً في فوات تلك المقاصد فلا ينالها فيخيب قصده، ويضيع سعيه.

● آداب العلماء والمتعلمين للحسين بن منصور اليمني

الكلام حسب الاستماع

كان بعضهم يقول: لا تُطعم طعامَك مَن لا يشتهيه معناه: لا تُقبلْ بحديثك على مَن لا يقبلُ عليه بوجهه. وقال عبدُ اللّه بنُ مسعود: حَدِّث النَّاسَ ما حَدَجُوك بأبصارهم، وأذنُوا لك بأسماعهم، ولحظوك بأبصارهم، وإذا رأيت منهم فترةً فأمْسِكْ. وقال بعضُ الحكماء: مَن لم يَنْشط لحديثك فارفَعْ عنه مَؤونَة الاستماع منك.

● البيان والتبين للجاحظ

بكاء زين العابدين

قال الأصمعي بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة إذ رأيت شاباً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول:

يا من يجيب دعا المضطّر في الظُّلم ... يا كاشف الضرُّ والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ... وأنت يا حيُّ يا قيومُ لم تنم
أدعوك ربّي حزيناً هائماً قلقاً ... فأرحم بكائي بحقّ البيت والحرم
إن كان جودك لا يرجوه ذو سفهٍ ... فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم بكى بكاء شديداً وأنشد يقول:

الا أيها المقصود في كلِّ حاجةٍ ... شكوت إليك الضرَّ فأرحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت تكشف كربتي ... فهبْ لي ذنوبي كلّها وأقضِ حاجتي
أتيت بأعمالٍ قباحٍ رديئةٍ ... وما في الورى عبدٌ جنى كجنايتي
أتحرقني بالنارِ يا غاية المنى ... فأين رجائي ثم أين مخافتي

ثم سقط على الأرض مغشياً عليه، فدنوت منه فإذا هو زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين، فرفعت رأسه في حجري وبكيت فقطرت دمعة من دموعي على خده ففتح عينيه، وقال: من هذا الذي يهجم علينا؟ قلت عبدك الأصمعي! سيدي، ما هذا البكاء والجزع؟ وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة؟ أليس الله تعالى يقول: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً"؟ قال: هيهات هيهات يا أصمعي! إن الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان حراً قرشياً، أليس الله تعالى يقول: "فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنَّم خالدون"؟.

الحـيـاء

أعرابي: لا يزال الوجه كريما ما غلب حياؤه، ولا يزال الغصن نضيراً ما بقى لحاؤه.
آخر: الوجه المصون بالحياء كالجوهر المكنون في الوعاء.
آخر: رونق صحيفة الوجه عند الحياء كفرند صفيحة السيف عند الجلاء.
آخر: ما المبتختر في وشي ردائه بأحسن من المتقارب في قيد حيائه.
أرسطو طاليس: من استحيا من الناس ولم يستحي من نفسه فلا قدر لنفسه عنده.

● ربيع الأبرار للزمخشري

علم الحسن البصري رحمه الله وعقله

قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ : ما رأيت أحداً، لم يصحب النبي ﷺ ، أشبه بمن صحبه من صاحبكم هذا -يعني الحسن- ولو أنه أدرك أصحاب رسول الله ﷺ لاحتاجوا إلى رأيه، وما سمع أحد كلامه إلا أزدرى كلام غيره.

قال أبو العباس السفاح لأبي بكر الهذلي: بم بلغ حسنُكم ما بلغ؟ قال: جمع كتاب الله وهو ابن اثنتي عشرة سنة، لم يجاوز سورة إلى غيرها حتى يعرف تأويلها، ولم يقلب درهماً في تجارة قط، ولم يل عملاً لسلطان، ولم يأمر بشيء حتى يفعله، ولم ينه عن شيء حتى يدعه. قال السفاح بهذا بلغ ما بلغ.

ما الدليل على الله؟

قال رجل لجعفر بن محمد: ما الدليل على الله؟ ولا تذكر لي العالَم والعرَض والجوهر! فقال له: هل ركبت البحر؟ قال: نعم. قال: هل عصفت بكم الريح حتى خفتم الغرق؟ قال: نعم. قال: فهل انقطع رجاؤك من المركب والملاحين؟ قال: نعم. قال: فهل تتبعت نفسك أن ثم من ينجيك؟ قال: نعم. قال: فإن ذاك هو الله!! قال الله تعالى: ﴿ضل من تدعون إلا إياه﴾. ﴿وإذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾.

● ربيع الأبرار للزمخشري

أربع ساعات للعاقل

مكتوب في حكمة آل داود: حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات، فساعة فيها يناجي ربه، وساعة فيها يحاسب نفسه، وساعة فيها يفضي إلى أخوانه الذين يصدقونه عن عيوب نفسه، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل، فإن في هذه الساعة عونا لتلك الساعات وإجماما للقلوب.

● ربيع الأبرار للزمخشري

من صفات المومن

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: المؤمن بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، أوسع شيء صدراً، وأذل شيء نفساً، يكره الرفعة، ويشنأ السمعة، طويل غمه، بعيد همه، كثير صمته، مشغول وقته، سهل الخليقة، لين العريكة، نفسه أصلب من الصلد، وهو أذل من العبد.

● ربيع الأبرار للزمخشري

استعمالات اللغة العربية الجديدة إلى أين؟

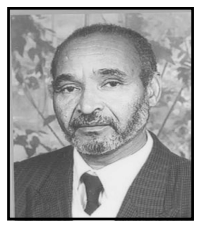

13— الاستعمالات الخاطئة تفقد اللغة قيمتها التعبيرية :

معاول الهدم تتظافر منذ زمان على النيل من لغة القرآن

د. الحسين گنوان

فيما يسهم في تفسير العنوان أعلاه يقول د. أحمد عمر مختار في الفصل الأول من كتابه "العربية الصحيحة" بعد عنوان "هل نستسلم لدعاة العامية" : "لا أدري إلى متى سيستمر أبناء العروبة ومثقفوها يهاجمون اللغة الفصحى، وينتقصون من قدرها، ويحملونها مسؤولية قصورهم عن التعبير، وعجزهم عن الاستيعاب؟ ولا أدري إلى متى سيظلون واقعين تحت تأثير التيار الاستعماري الثقافي فيرددون -بوعي أو بدون وعي- ما سبقهم الاستعمار إلى ترديده منذ عشرات السنين، إن لم يكن منذ مئات السنين؟ ولا متى سيسفر الصبح لكل ذي عينين وتختفي هذه النغمة الكريهة، نغمة الضرب على وتر العاميات واللهجات المحلية؟

ومن العجيب حقا أن يرتفع صوت العامية هذه المرة من الكويت، بلد العروبة المخلص، وقلبها النابض، بعد أن خفتت الأصوات - أو كادت - في بلد مثل لبنان [حيث] ظل دعاة العامية في نحو نصف قرن يكتبون ويؤلفون ويروجون دون ما فائدة. أو بلد مثل مصر [الذي] نامت فيه هذه الدعوة مؤخرا، أمام ضغط تيار القومية الجارف، وتمسك الجماهير بعروبتها. وقد أحسست بالخطورة حين وجدت "البيان" [يعني هذا مجلة البيان الكويتية] تفسح -في عددها الأخير- صدرها لهذا الصوت الذي وإن بدا خافتا هذه المرة فإنه لن يلبث إذا رأى النور أن يزيل القناع عن وجهه، ويعلن عن نفسه في صراحة. وربما يتلقفه ذوو الضمائر السليمة، والنيات الحسنة، الذين يصدقون كل ما يقرأون، أو الكسالى منا الذين عجزوا عن تعلم لغتهم الوطنية وإجادتها، فسرهم أن يجدوا غيرهم يسدد لها سهامه ويصب عليها لعناته.

وإذا كان الأستاذ سليمان الشيخ - صاحب مقال حول العامية والفصحى من جديد - قد ناقش القضية في إيجاز شديد، فقد أثار عدة نقاط لا بد من الوقوف أمامها لتمحيصها، وعرض وجهة النظر الأخرى فيها. (وإذا كان صاحب المقال) قد عرض آراءه في تحفظ شديد واستحياء ظاهر، (فقد سبقه دعاة عرب) آخرون كانوا في دعوتهم أجهر صوتا، وأخطر أثرا، ولا سيما أن منهم من كان-ولا يزال- يحتل (مراكز التوجيه) والتنفيذ في عالمنا العربي. وأذكر منهم على سبيل المثال الأستاذ يوسف السباعي -وزير الثقافة في مصر الآن [كان ذلك حين نشر المقال عام 1974] والحائز على جائزة الدولة التقديرية في الآداب لهذا العام- والدكتور صلاح مخيمرة أستاذ الجامعة المثقف الذي يقوم على تخريج الأجيال وتربية الشباب.

أما أولهما فقد كتب حين كان رئيسا لتحرير مجلة "الرسالة الجديدة" المصرية، والحمد لله أن المجلة لم تعمر طويلا، فلم (تأخذ) دعوته فرصة للذيوع والانتشار، كتب يقول معرضا باللغة الفصحى وقواعدها ما نصه بالحرف الواحد : "يجب أن نتحلل من هذه القيود السخيفة. لماذا كل هذا التعب؟ ألأن العرب منذ ألف سنة رفعوا هذه ونصبوا تلك... ليكن.. لنحافظ على تراثهم(تراثهم هم وليس تراثنا نحن!!) كما هو .. على أن نحلل لغتنا من أثقاله وقيوده, و(نقولها) بأبسط الطرق، لنسكن آخر كل كلمة، ولنبطل التنوين، (ولنقل) الجمع بالياء فقط... ولنحرم أدوات الجزم والنصب من سلطاتها.. لنتحلل من كل هذا، ولنصرف الممنوع من الصرف... ولنتحدث بلغتنا دون خوف من لحن أو خطأ.. يجب أن يزول احتكار اللغة بقيودها وقواعدها ونحوها وصرفها... وعلى أية حال إن لم نحصنها الآن فستحطمها الأجيال القادمة فلنكن (شجعان) ونريحهم نحن منها".

وأما الآخر فقد كتب منذ (بعض الوقت) في مجلة (الكاتب) المصرية أيضا كتب يقول : "أترانا في حاجة إلى مواطن يجيد الكلام بأكثر مما يجيد العمل؟ وهل هناك من جدوى لمعرفة يتم اكتسابها في وقت ما ليمسحها الواقع بعد ذلك؟". وبعد أن هاجم تدريس اللغة الفصحى في دور العلم، (واستنكر على الدولة) أن تنفق على تعليم اللغة العربية ما تنفقه، واعتبر هذا جهدا ضائعا لا طائل من ورائه، وعد اللغة الفصحى شيئا كغثاء السيل، وعلما لا يخدم المجتمع أصدر حكمه عليها بأنها يجب أن(2) "تسقط في الطريق وتلفظها الذاكرة".

ولست هنا "يقول المؤلف" في مجال بسط القول لتفنيد هذه الدعوة الخطيرة، ورصد تحركاتها المشبوهة عبر التاريخ، وإنما أكتفي بأن أسجل - فقط بعض الملاحظات التي يغفلها دعاة العاميات دائما لأنها تلقي ظلاً من الشك على دعواتهم، بل تهزها من أساسها هزاً عنيفاً.

وألخص هذه الملاحظات فيما يأتي :

1- إن الهجوم على الفصحى، والدعوة إلى تبنّي اللهجات العامية قد ارتبط (في القديم) بدعاوى الشعوبية وأعداء العروبة، وفي الحديث (بالاستعمار) وأعوانه، أما في القديم فقد روى لنا صاحب (صبح الأعشى) قصة رجل شعوبي كان يُدْعَى(3) (ابن مخيمرة)، دأب منذ أكثر من ألف عام (على) مهاجمة اللغة الفحصى، والحط من شأنها وكان يردد دائماً قوله : (النحو أوله شغل وآخره بغي) حتى انبرى له أبو جعفر النحاس -العالم اللغوي المصري المتوفى عام 338هـ ورد على دعواه قائلاً :

وقد صار أكثر الناس يطعن على متعلمي العربية -جهلا وتعدياً- حتى إنهم يحتجون بما يزعمون أن القاسم بن مخيمرة قال : النحو أوله شغل، وآخره بَغْي، وهذا كلام لا معنى له، لأن أول الفقه شغل وأول الحساب شغل... وكذلك أوائل العلوم، أفَتَرى الناس تاركين العلوم من أجل أنّ أولها شغل؟ يتبع

● عن كتاب العربية الصحيحة 17-18

ملاحظة : ما وضعناه بين قوسين فيه نظر من وجهة نظرنا باستثناء ما وضعنا فوقه رقما ما. أما ما وضعناه بين معقوفتين فهو إضافة أو ما كان مسجلا في الهامش لأجل البيان.

نتمة : حلاوة الاستشهاد في سبيل الله

وهو موقنٌ بالنصر الذي وعد الله تعالى به عباده الصادقين المومنين المجاهدين، فكان أمْرُ هذا الرجُل منْ أعجب العجب في الحزم والشجاعة، لقد مات وهو وَاضِعٌ سَبَّابَتَهُ عَلَى فَمه مشيرا لهم أن يكتموا أمْرَ موته حتى يتمَّ النصر، وألاَ يضطربوا ويحدثوا أي فتنة، وكذلك كان.

فلم يطلع على وفاته إلا حاجبه "رضوان العلج" وأخوه أحمد المنصور، وصار حاجبه يقول للجند : السلطان يأمر فلانا أن يذهب إلى كذا، ويأمر فلانا أن يلزم الراية، وفلانا يتأخر... فكان الغرقى أكثر من القتلى بساحة المعركة، فسبحان الله الذي يسخر لعباده الملائكة، والبرد والرياح، والأودية لتكون جنودا لله مجندة مع المومنين المجاهدين.

ويقول طبيب عبد الملك الخاص "كان سرُّ الله عظيما، فَقَدْ هَلَكَ في طَرْف ساعَة ثَلاَثَةُ ملوك، كاَن اثنَان منْهُم عظيمَيْن، وكانتْ المُعْجزَةُ الكُبْرَى : في أَنَّ مَلكا مَيِّتا غَلَبَ مَلكَ البُرْتُغال، حتى لَيُظَنَّ أَنَّ ذلكَ الأَمْرَ كَانَ منْ فعْلِ السِّحْرِ" إنه الإكرام الرباني لعباده الصادقين، فهم وحدهم الذين يذوقون حلاوته يوم تهب نسائم الجنة تعطر أرواح المومنين(1)

1- انظر الاستقصا للناصري : 79/5- 80، ووادي المخازن لـ : د. شوقي أبو خليل 65- 66، وسكب العبرات 436/1.

نتمة : لباس الكفار كيف؟

غيرهما أفضل منها.

وقال جماعة من العلماء هو مكروه كراهة تنزيه، وحملوا النهي على هذا، لأنه ثبت أن النبي ﷺ لبس حلة حمراء، وفي الصحيحين عن ابن عمر قال رأيت النبي ﷺ يصبغ بالصفرة.

وحمل بعض العلماء النهي هنا على المُحْرِم بالحج أو العمرة ليكون موافقا لحديث ابن عمر رضي الله عنهما : نهى المُحْرِم أن يلبس ثوبا مسه ورس أو زعفران، انتهى.

قلت هذه مذاهب العلماء في لبس المعصفر نقلها الإمام النووي رحمه الله والمتبادر إلى الفهم في النهي عن لبس المعصفر في سياق الحديث لكونه من لباس النساء، وأن الكفار في ملبسهم لا يفرقون بين ما هو خاص بالنساء، وما هو خاص بالرجال فيتشبه بعضهم ببعض، وهذا ممنوع في الإسلام قال رسول الله ﷺ «لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال»(رواه البخاري).

1- تفسير الطبري .479/5.
2- المحلى .394/2.
3- إغاثة اللهفان ص .148.
4- ابن بطال 92 ص 92, وقوله كانت تلبس هاهنا أي انها من عمل أهل المدينة وزينهم وهو حجة عند مالك.

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

.....

.....

الاشتراك السنوي (20 عددا) :

■ داخل المغرب : 60 درهما.

■ خارج المغرب : 20 أورو أو مايعادلها.

ترسل الاشتراكات باسم :

■ جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية.

■ أو **جريدة المحجة** على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين -فاس) رقم: 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والتوصيل فيبعثان إلى مقر الجريدة، على العنوان التالي :

جريدة المحجة (قسم الاشتراك) :

حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 - الدكارات

فاس - المغرب

بِنَبْضِ القلب

المجد الزائف

الإحساس بالزهو والعظمة سمتان تهفو لهما النفوس المريضة، ويتطلع إليهما ذوو العقليات السطحية التي تريد أن تصنع مجدا على جماجم الآخرين، نتذكر كيف أن جمال عبد الناصر كان يفتخر دوما بين جنيرالاته بأنه استطاع في يوم واحد أن يسجن ثمانية عشرة ألفاً من معارضيه، وأنه سيلقي بإسرائيل في البحر، وفي الوقت الذي كانت فيه أم كلثوم تغني عبر إذاعة صوت العرب : الآن أصبحت عندي بندقية، كانت الطائرات الإسرائيلية تدك مطارات القاهرة وتحرق الطائرات المصرية وهي جاثمة من غير حراك، وحتى يغطي النظام الثوري عن هزائمه، انبرى أزلامه يرددون على منابرهم مقولة النصر رغم الهزيمة، أي أن الهدف من ضرب مصر كان هو اجتثاث ثورة 1952، ولكن العدو مُنِيَ بخيبة كبيرة حين خرج الزعيم من هذه المحنة أقوى وأشرس مما كان... نفس الجنون الآن يريد أن يصنعه القذافي التلميذ المخلص لعبد الناصر، والذي جاء على ظهر دبابة، وما يزال يطمح أن يعتلي سلم المجد الزائف بالمزيد من المجازر في حق شعبه، ويظهر ذلك من خلال خطاباته الغوغائية التي باتت تثير الغثيان، وأمست تؤثث مجالس الفكاهة والتندر... يروى أنه بعد مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه، جاء أناس إلى بيت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والذي كان قد اعتزل الفتنة، وطرقوا بابه حتى كادوا أن يكسروه ونادوه : يا عبد الله، يا سيدنا وابن سيدنا أخرج إلينا نبايعك، فمكث في بيته لا يجيب حتى هدده بعضهم بالقتل إن لم يَخرج لإخماد نيران هذه الفتنة، ومرت الأيام ورسَا الحكم في يد معاوية رضي الله عنه، فقال أحدهم لعبد الله بن عمر : أنت شر رجل في أمة محمد ﷺ فقال له عبد الله : ولِم؟ إني والله ما سفكت دماءهم ولا شققت عصاهم! فقال له الرجل : لو أنك قبلت الخلافة لحقنت دماء كثيرة، فقال له عبد الله : إني والله لأكره أن تأتيني (أي الخلافة) وهناك واحد يقول لا...

وها نحن في هذا الزمان الأغبر ينتفض الشعب بأكمله مطالبا برحيل الحاكم، فيرد عليه بالقاذفات والصواريخ مرددا في عنجهية : أنا أو لا أحد.

ذ. أحمد الأشهب

لماذا إبليس؟

أ. د. عماد الدين خليل

كثيرا ما يتساءل المسلم عن الحكمة من خلق الشيطان.. عن الأهداف البعيدة في علم الله سبحانه، تلك التي دفعت إبليس إلى رفض السجود لآدم.. وتحدّيه.. وإعلانه خصومته الأبدية.. وقسمه على الله أن ليغوينّه وذريته إلى يوم الدين..

والجواب يكمن في ضرورة خلق الصراع، أو التناقض، أو التقابل الثنائي الفعال الذي يحرك الدور البشري في العالم ويدفعه إلى الأمام.. إنه التحدي الذي لابدّ منه لشحذ همة الإنسان.. فمنذ اللحظة الأولى لخلق آدم يجابه الإنسان بقوة الشر المقابلة متمثلة بالشيطان، وكل ما يملك من أساليب يداهم بها الإنسان من الخارج أو يبرز له من الأعماق، من صميم الذات.. يجيئه من مسارب العاطفة والوجدان والنفس، أو يندفع إليه من منافذ الحسّ، أو يستصرخ فيه شهوات الجسد، أو يتقدم إليه محملا ببهرج الدنيا وزينتها.. يجند لقتاله والمروق به عن ساحة الخير كل القوى المادية والمعنوية، وكل الذين يختارون بإرادتهم أن ينتموا إليه أناساً كانوا أم شياطين أم جنا.. ورغم أن أسلحة الشيطان كثيرة، متنوعة، عاتية، إلا أن الإنسان قد وهب إزاءها قوى معادلةً وإمكانات مكافئة تعطي للصراع الدائم بين الطرفين مدى واسعاً، ممتداً، بحيث أن النصر والغلبة لن تجيء بسرعة، سهلةً، كالضربة الخاطفة لأي منهما. إن هذه (المقابلة) تمثل تحدياً واستفزازاً لابد منهما لتحريك الإنسان، فرداً وجماعة، صوب الأحسن والأمثل، وصقل طاقاتهما لكي يكونا أكثر مقدرةً على المقاومة والصراع، وبالتالي أقدر على مواصلة الصعود في الطريق الموصول بالسماء بدءاً ومنتهى..

حقاً إن الصراع بين الشيطان والإنسان شامل واسع معقد متشابك، إنه تقابل بين الخير والشر على أوسع الجبهات، تقابل لابد منه إذا ما أريد للحياة البشرية أن تتجاوز الكسل إلى النشاط، والفتور إلى التمخض، والسكون إلى الحركة. إنه ابتلاء فعال لن يأخذ تاريخ البشرية بدونه شكله الإيجابي ولا يمضي إلى غاياته المرسومة منذ هبوط آدم إلى يوم الحساب ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض﴾(الأنعام : 53) ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾(الأنبياء : 35) ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾(العنكبوت : 3) ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني﴾(الحديد : 14) ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون؟﴾(العنكبوت : 2) ﴿وإن ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين﴾(الأنبياء : 111) ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض﴾(الحج : 53).

ويبقى نداء الله الدائم للبشرية ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان﴾(الأعراف : 27) محوراً كبيراً يدور عليه الصراع، والحركة، والتقدم إلى أمام أو الرجوع إلى وراء.. ورغم أن الله سبحانه وهب بني آدم قدرات العقل والروح والإرادة والعمل، وعلمهم الأسماء كلها، إلا أنه سبحانه لم يتركهم وحدهم في تجربة صراعهم في الأرض، وظل يمدهم حينا بعد حين، بتعاليم السماء وشرائعها العادلة وصراطها المستقيم الذي يحيل حركة البشرية في العالم إلى حركة متقدمة أبدا في خط متوازن صاعد لا رجوع فيها إلى وراء ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾(البقرة : 257) ﴿قال : اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن اعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا، ونحشره يوم القيامة أعمى﴾(طه : 123- 124) ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾(الأنبياء : 18).

إن أشد ما يرفضه كتاب الله في دعوة البشرية للإفادة من هذا الصراع وتحويله إلى حركة متقدمة صاعدة، هي نزوع بعض الجماعات والزعامات إلى الوراء، ومواقفهم الرجعية التي ترفض أية دعوة تسعى لكي يحتلوا مواقع في الأمام ﴿وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا، أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون؟﴾(المائدة : 104) ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟﴾(المائدة : 50) ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا : وجدنا عليها آباءنا﴾(الأعراف : 28) ﴿قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا؟﴾ ﴿قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾(الشعراء : 74) ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون؟﴾(البقرة : 170) ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون، وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون، قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم؟ قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون﴾(الزخرف : 21- 23)..

ويبقى الشيطان، خصم بني آدم اللدود، رمزاً أبدياً للصراع بين الخير والشر، بين الحق والباطل، بين الإيمان والكفر.. ويظل تحدّيه للإنسان سبباً لشحذ همة الإنسان وتعميق إيمانه واستئصال مكامن الشر والضعف في نفسه، لكي يقدر على مجابهة الفتنة ويجتاز المعوقات ويزيح الموانع والعقابيل.. متقدماً أبداً إلى الأمام.. تلك هي الحكمة البالغة في خلق الشيطان.. ورفض إبليس السجود لآدم عليه السلام..

متى يموت النصراني؟!

عبد الحميد الرازي

عقدة الأجنبي مرض عضال أصيب به العرب ورغم أن الله تعالى الذي أنزل الداء أنزل معه الدواء إلا أن أصحاب القرار وصناعه يبدو أنهم قد تعايشوا مع هذا المرض وفقدوا الأمل في العلاج منه لأنهم صنعوا معوقات وهمية حالت دون طلب العلاج والبحث عنه.

هذا المرض المزمن في نظرهم جعلهم يصدقون أن الأجنبي وحده القادر على صناعة الأمجاد وتحقيق الانتصارات ووضع البرامج والخطط وتنفيذ المشاريع بدءا من مدربي الفرق الرياضية .

فمدرب المنتخب الوطني لكرة القدم غيريس البلجيكي الجنسية هو الذي يستحق أن يتقاضى راتبا شهريا مقداره 250 مليون سنتيم دون الحديث عن المسكن الفاخر والسيارة الفارهة والتعويضات الخيالية فضلا عن مبلغ مليون دولار وهو قيمة الشرط الجزائي الذي دفعته المملكة المغربية لنادي الهلال السعودي مقابل فسخ عقدته مع المدرب (غيريس) هذه الصفقة التي يرى رئيس الهيئة الوطنية لحماية المال العام بالمغرب محمد طارق السباعي في تصريح للجزيرة نت أن استفادة مدرب أجنبي من هذا المبلغ يمثل هدراً لا مبرر له "وتضييعاً" للاستثمار الداخلي، مع أن التاريخ يشهد بأن أفضل النتائج التي حققها الفريق الوطني في العقد الأخير كانت بقيادة المدرب الوطني بادو الزاكي الذي بلغ بالمنتخب إلى نهاية كأس إفريقيا في تونس سنة 2004.

ومن الرياضة تنتقل العدوى إلى مجال المال والأعمال حيث بيعت نسبة كبيرة من شركة اتصالات المغرب للأجنبي الذي جنى من ورائها 9 ملايير ونصف مليار درهم، في سنة 2010.

كما بيعت مؤسسات توزيع الما ء والكهرباء في كبرى المدن المغربية للأجنبي وكذلك مؤسسات النظافة والنقل...

والعجيب الغريب أن هذه المؤسسات لازالت تحتفظ بنفس العمال والموظفين والأطر مما يؤشر على أن الأزمة أزمة تسيير وتدبير، وإذا كان لابد من الأجنبي فلماذا لا يحتذى بالجامعة الملكية لكرة القدم في استقدام كفاءات أجنبية تدير هذه المؤسسات من فوق وهي أولى من الرياضة بدل بيعها بالكلية للأجنبي وبذلك نحفظ لبلدنا مؤسساته ومصادر ثروته وأموال شعبه؟! ولماذا لا نستقدم حكومة كاملة من اليابان أو ماليزيا أو تركيا أو أي بلد أجنبي آخر ناجح ومتقدم، ما دامت حكوماتنا المتناوبة لا تستطيع حل المشاكل واقتراح الحلول ووضع الخطط المناسبة والسهر على تنفيذها خصوصاً عندما يكون التعيين لمجرد الانتماء للحزب الفائز في الانتخابات البرلمانية أو للعائلة. دون مراعاة مبدأ الرجل المناسب في المكان المناسب.

إن عقدة الأجنبي مرض عضال ولكن له دواء في صيدلية الإسلام، دواء وصفه سيدنا عمر رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري عندما استكتب نصرانيا فكتب له عمر : اعزله، واستعمل بدله حنيفيا، فكتب له أبو موسى : إن من غنائه وخيره وخبرته كيْت وكيت، فكتب له عمر : ليس لنا أن نأتمنهم وقد خونهم الله، ولا أن نرفعهم وقد وضعهم الله، ولا أن نستنصحهم في الدين وقد وترهم الإسلام، ولا أن نعزهم وقد أمرنا أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فكتب أبو موسى : إن البلد لا يصلح إلا به.

فكتب إليه عمر : مات النصراني والسلام!!

إنه الدواء الشافي لكل من سيطرت عليه عقدة الأجنبي واحتقر رأس ماله فأكله.

صدقت أيها الفاروق وبررت.

فأبو موسى اعتقد أن قدراته محدودة وأن حاجته إلى النصراني ملحة ولكنك وجّهْتَه إلى ضرورة البحث عن البديل من بين بني جلدته وديانته وأن حجته في استعمال النصراني غير قوية، وإلا فماذا يفعل لو أن النصراني مات؟

لا شك أنه سيبحث عن بديل وفي أسوإ الأحوال سوف يعمل على تدريبه وتأهيل من يقوم مقامه...

وختاماً فإنا لا نتمنى موت النصراني حقيقة وإنما نتمنى على الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفينا من عقدة الافتقار إلى الأجنبي في كل صغيرة وكبيرة.

وأن يوفقنا للبحث عن الطاقات الوطنية فبلدنا فيها من الطاقات الخير الكثير، وعاشت الكفاءات الوطنية والسلام.

بارقة

والعودُ أحمدُ أو أسوأ

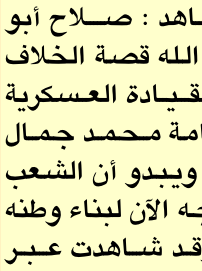

أ.د. عبد السلام الهراس

شاءت أقدار الله أن نعيش - نحن أبناء المغرب العربي أو المغرب الكبير- فترات متفاوتة في المشرق العربي بين الخمسين والستين 1950-1960 وقد تأخر استقلال الجزائر بضع سنوات عن تونس والمغرب، وقد قام البلَدان بالواجب نحو إخوانهم في الجزائر إضافة إلى ما قدمه الشرق ولاسيما مصر من مساعدات، وقد ضاعت فرص عظيمة لبناء المغرب الكبير وفق ظروف كل بلد بسبب الأفكار الثورية غير الناضجة التي حوّلت الأمور إلى الفتن والتقاطع، وقد سعدت بلقاء المجاهد اللواء محمد نجيب الذي حكى لنا سنة 1980 في القاهرة عندما تلاقينا في مكتبة الحاج وهبة لشراء الجديد من الكتب وحكى لنا الرجلان وكان ثالثهم المجاهد : صلاح أبو رقيق رحمهم الله قصة الخلاف بينهم وبين القيادة العسكرية الثورية بزعامة محمد جمال عبد الناصر، ويبدو أن الشعب المصري يتوجه الآن لبناء وطنه على الواقع وقد شاهدت عبر الشاشة الصغيرة شخصيات مصرية مدنية تتعاون مع القيادة العسكرية لبناء مصر بناءً شاملا وراسخاً مما سيجعل مصر تحتل مكانة محترمة في الخريطة العربية والإسلامية، وأنا أظن أن الجيش إذا نِيط به ما يرتبط بمهمته في دولته ومجتمعه واضطلع المجتمع المدني بالمهمات التي تخصه فإن الدولة المصرية ستصبح أقوى دولة في المنطقة ويمكن أن تحقق ما تطمح إليه جميع الشعوب العربية بما في ذلك تحرير فلسطين وبذلك يكون العود أحمد بعد سلسلة التجارب الفاشلة التي قادتها العقليات العسكرية التي تزعمت ما كان يحق أن يكون في سجل القيادات المدنية المختصة.

إن الثورة العربية ستنجح إذا ما التزمت كلّ جهة بما يجب عليها متجنبة أسباب الفشل والفوضى وقلب الأوضاع.